مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية بين الوحي الإلهي والتنظير الفلسفي عند محمد عبد الله دراز .

إعداد

أ.م.د. عصام كمال المصرى

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

والقائم بعمل رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور

العدد الثانى و الستون - يناير -الجزء الثالث - لسنة 2024

مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية بين الوحي الإلهي والتنظير الفلسفي عند محمد عبد الله دراز .

أ.م. د. عصام كمال المصرى

الملخص .

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مقاربة محمد عبد الله دراز الأخلاقية في النظرية الأخلاقية المعاصر ، وقد تجلّت ملامحها في الانتقال من مجرد الاشتغال بالأخلاق العملية – فقط – كما هو السائد عند الأخلاقيين القدامى ، إلى الاشتغال بالأخلاق النظرية والعملية معاً ، فأنتج دراز نظرية متكاملة في الأخلاق النظرية ، جديرة بأن تكون أساساً معرفياً ، وإطاراً نظرياً للدراسات الأخلاقية في الفكر الإسلامي المعاصر ، معتمداً علي منهجية قائمة على القراءة السياقية للنصوص الأخلاقية في القرآن الكريم ، بالنظر إلى سياقاتها الكلية ، باعتبارها آلية لاستخلاص النظرية الأخلاقية ، دون العناية الكبيرة بالظروف التاريخية التي نزل فيها القرآن الكريم ، حيث يجعل النص القرآني ذاته نقطة انطلاق يستخرج منه الإجابة عن كل مسائله ، بالرجوع المباشر إليه . فاستطاع بذلك أن يصوغ نظرية أخلاقية تأسست على مرتكزات التأصيل الإسلامي بين الوحي الإلهي والتنظير الفلسفي وهي : الإلزام الخلقي ، والمسئولية ، والجزاء الأخلاقي ، وذلك بعد أن أوضحنا المفاهيم المفصلية في فلسفة دراز الأخلاقية ، ورؤيته النقدية للكتابات السابقة عن النظرية الأخلاقية .

وقد سلكت هذه الدراسة منهجاً يجمع بين الوصف والتحليل والمقارنة والنقد ، فكنت حريصاً على وصف النظرية الأخلاقية من خلال أصولها النظرية ، وتطبيقاتها العملية ، مع التأكيد علي مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية في فكر دراز ، بالإضافة إلى التحليل والمقارنة ؛ لكشف جوانب التميز والسبق في صياغة أصولها . أما المنهج النقدي فحيث توضع جهوده وآرائه على محك النقد العلمي تقييماً وتقويماً من خلال مقارنتها بآراء الدارسين المعاصرين له ، أو اللاحقين عليه وذلك لمعرفة محطات الاتفاق والاختلاف والإبداع .

وقد أسفرت الدراسة علي جملة من النتائج منها : أن هذا الاتساع في الرؤية الأخلاقية عند دراز لا تخلو من سلبيات انعكست أحياناً على عمق التحليل المتصل ببعض المسائل والمعضلات ، إلا انه لا يمكن التقليل إطلاقاً من عمق الحجاج الفلسفي الأخلاقي الذي قدمه دراز ، فلقد فتحت مؤلفاته آفاقاً جديدة في النظر الأخلاقي عموماً ، وفي القرآن الكريم خصوصاً على نحو يسهم في إعادة صياغته

للمنظومة العقدية والتشريعية ، الأمر الذي لم يتم استثماره بعد ، مثل النظر في لوازم فكرة الأساس الأخلاقي للتشريعات القرآنية التي أثبتها دراز بالاستقراء التام ، وما تثيره من أسئلة عن مقاصد هذا التأسيس الأخلاقي ، وأثره وفائدته علي حياة البشرية .

الكلمات المفتاحية : التأصيل الإسلامي ، الأخلاق ، الضرورة الأخلاقية ، الإلزام الخلقي ، المسئولية ، الجزاء الأخلاقي ، الفكر الإسلامي ، النية والدوافع ، الجهد ، دراز .

The Pillars of the Islamic Rooting of the Ethical Theory between Divine Revelation and Philosophical Theorizing Of Muhammad Abdullah Diraz.

Dr. Essam Kamal Abdo Mohamed Al-Masry
Assistant Professor of Islamic Ethics
Faculty of Arts, Damanhour University

"O Allah, we seek refuge in You from the temptation of saying and from depriving success."

Abstract:

This study aimed to shed light on the ethical approach of Muhammad Abdullah Diraz in the contemporary Ethical theory, and its features were manifested in the transition from merely working with practical ethics - only - as was prevalent among the ancient moralists, to working with both theoretical and practical ethics. Diraz produced an integrated theory in Theoretical ethics, worthy of being an epistemological basis and a theoretical framework for ethical studies in contemporary Islamic thought, relying on a methodology based on contextual reading of ethical texts in the Holy Qur'an, given their overall contexts, as a mechanism for extracting ethical theory, without much care for the historical circumstances in which the Noble Qur'an was revealed, Where he makes the Qur'an text itself a starting point from which he extracts the answer to all his questions, by referring directly to it. Thus, he was able to formulate an ethical theory based on the pillars of Islamic rooting between divine revelation and philosophical theorizing, namely moral obligation, responsibility, and moral sanction, after we clarified the key concepts in Diraz's moral philosophy and his critical vision of previous writings on ethical theory.

This study has taken an approach that combines description, analysis, comparison, and criticism. I was keen to describe the ethical theory through its theoretical origins and practical applications, with an emphasis on the foundations of the Islamic rooting of the ethical theory in Diraz's thought, in addition to analysis and comparison to reveal aspects of excellence and precedence in the formulation of its origins. As for the critical approach, its efforts and opinions are put to the test of scientific criticism, in appreciation and evaluation, by comparing them with the Opinions of his contemporary scholars, or those who followed it, to know the stations of agreement, disagreement, and creativity.

The study has resulted in several results, including, this widening of the moral vision of Diraz is not devoid of negative aspects, which were sometimes reflected in the depth of analysis related to some issues and dilemmas. His writings have opened new horizons in ethical consideration in general, and in the Holy Qur'an in particular, in a way that contributes to its reformulation of the legal and contractual system. The matter that has not been invented yet, such as examining the implications of the idea of the moral foundation for the Qur'an legislation, which was proven by Diraz through complete extrapolation, and the questions it raises about the purposes of this moral foundation, and its impact and benefit on human life.

Keywords: Islamic Rooting, Morality, Animalism, Moral Obligation, Exclusionary, Morals, Islamic Thought, Diraz.

الدكتور محمد عبد الله دراز

(1894 – 1958 م)

مقدمة .

الجانب الأخلاقي في فكرنا الإسلامي ما زال من أشد الجوانب حاجة إلى اهتمام الدارسين والباحثين ، فهو من أكثر الجوانب خصوبة وأصالة ، وأشدها علاقة بحياة المجتمع ، فالأخلاق تستأهل اهتماماً خاصاً بدراستها والتوسع في بحث أسسها ومبادئها وآلياتها .. من أجل تأسيس إطار نظري للأخلاق أولاً ، ومن أجل تحقيق التّخلق العملي للإنسان المعاصر ثانياً ، الذي أصبح يعيش وضعاً أخلاقياً مأساوياً ومأزوماً ، يوصف بمرحلة ما بعد الأخلاق .

إن الدراسات الأخلاقية العربية الحديثة توزعت ما بين التأريخ للفكر الأخلاقي عموماً ، والتراث الأخلاقي في الإسلام خصوصاً ، وترجمة التراث الأخلاقي الأجنبي عموماً ، والغربي خصوصاً ، ونقله إلي العربية ، ومن وراء هذين الاتجاهين ، اتجاه أخذ علي نفسه التأصيل والتنظير لرؤية أخلاقية مستمدة من أصول الإسلام ، وقد كان محمد عبد الله دراز أفضل مثال لهذا الاتجاه الأخير ، حيث أبدع – خلال مؤلفاته – بالحديث عن نموذج نظري أخلاقي معاصر نابع من القرآن الكريم ، يشكل نسقاً معرفياً أخلاقياً يصلح أن يكون نظرية أخلاقية قرآنية في هذا المجال ، وأنتج نظرية متكاملة في الأخلاق النظرية ، جديرة بأن تكون أساساً معرفياً وإطاراً نظرياً للأبحاث والدراسات ، التي يمكن أن تُنجز في مجال الفكر الأخلاقي الإسلامي المعاصر .

ويمكن القول دون مواربة إن دراز أسَّسَ علمَ أخلاق القرآن ، وقد أدرك أنه يسلك دروباً غير مطروقة مضيفاً لمسة متميزة في الفكر الأخلاقي إلى المكتبة الإسلامية ، من خلال دراسته للأخلاق في جانبها النظري دراسة جديدة بأن تكون أرضية صلبة للنقاش الأخلاقي الإسلامي المعاصر ، وقد اعتمد في دراسته على مرجعية القرآن الكريم ، فكان إماماً من أئمة الوسطية الإسلامية السمحة ، كما يدل عليه الاستقراء المتوسع لما خطه يراعه ، وكان ذا ثقافة واسعة وافق رحب ، يقتنص الأفكار من كل الأديان والمذاهب والمشارب ، ثم يعرضها على مصفاته القرآنية ، فتحيلها رحيقاً إسلامياً خالصاً ، وقد عبر دراز عن ثقافته التركيبية هذه في صدر كتابه الأشهر وعمله الأهم ، دستور الأخلاق في القرآن فقال : " عملنا على هذا النحو نوع من التأليف ، تلتقي فيه الأفكار الأخلاقية من الشرق بنظيرتها من الغرب ، في مقارنة واعية ، محايدة ، بريئة من كل فكرة مسبقة ، ومن كل هوًى متعصب

لمدرسة بعينها ، رائدها الوحيد في كل مناقشة أن تحتكم إلى العقل ، الذي يستهدي بالأسانيد الوثيقة . " (1) وانطلاقاً من ذلك تأتي هذه الورقة البحثية لتلقي الضوء علي بعض ما قدمه محمد عبد الله دراز بشأن مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية وآرائه الأخلاقية والتي تناولها بين الوحي الإلهي والتنظير الفلسفي . سائراً علي نهجه الذي أكد عليه من خلال مقارنة واعية ، محايدة ، بريئة من كل فكرة مسبقة ، ومن كل هوىً متعصب ، ونعوذ بالله من فتنة القول ومن حرمان التوفيق .

– وما دفعني إلى اختيار هذه الورقة البحثية ، جملة من الأسباب منها :

1 – في عام 2005 وأثناء إعداد رسالة الدكتوراة وقعت عيناي على كتاب الدكتور محمد عبد الله دراز " دستور الأخلاق في القرآن " لم أكن يومها عرفت الكتاب ، ولا سمعت عن كاتبه ، لكنه كتاب عن القرآن الكريم ومترجمه هو الدكتور عبد الصبور شاهين وهذا يكفي !! اشتريت الكتاب دون إدراك لقيمته العلمية ، وسرعان ما أدركت أني وضعت يدي على كنز من كنوز الفكر الإسلامي ، ونبع من منابع الروح القرآني ، التهمت الكتاب في أيام رغم طول نصه ، وعمق فكرته حتى أدركت أن مؤلف الكتاب كنز من الكنوز العلمية الخفية ، التي لم تنل مكانتها العلمية المناسبة من خريطة الفكر الإسلامي ؛ بسبب الصخب واختلاط الأصوات وفوضى الثقافة التي نعيشها اليوم .

ومنذ ذلك الحين ، ورغم مرور الأيام والسنين ، ظل الدكتور محمد عبد الله دراز بأفكاره المستنيرة المعتدلة ، يطارد مخيلتي كلما تناولت الجانب الأخلاقي الإسلامي – مجال تخصصي الدقيق – فكان بحق ملهماً لي خاصة وأنه ما من بحث يتناول الجانب الأخلاقي الإسلامي ، إلا وكانت مؤلفات محمد عبد الله دراز حاضرة فيه بقوة ، ، فتمنيت أن أكتب عنه يوماً ، لكن اعترافاً مني بعدم النضج الأكاديمي لخوض غمار هذا الأمر وقتها ، جعلني أرجئه حتى أتمكن من تناوله بالجانب الذي يليق بمقام بالقرآن الكريم وشخصية المؤلف ، حتى قيض الله هذه الدراسة فكانت آخر ما كتبته من دراسات علمية .

2 – محاولة بيان مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية التي صاغها محمد عبد الله دراز من خلال القرآن الكريم ، وذلك في وقت أصبح غياب نظرة أخلاقية مستمدة من مصدر التشريع الأول (النص المؤسس) يمثل فجوة هائلة أمام تمدد الإسلام وانتشاره ، فالموضوع لم يوف حقه ولم يسبر غوره وما زال بحاجة إلى مزيد

بحث واهتمام وتنقيب ؛ من أجل كشف المعاني المستترة خلف مقولات دراز تمهيداً لتفعيلها في عالم الواقع .

3 – عرض رؤية محمد عبد الله دراز النقدية للكتابات السابقة عن النظرية الأخلاقية والتي تعد انطلاقاً لفهم أعمق وواضح لفلسفته والتي لم يتناولها الباحثون ببعض العمق والوضوح .

4 – يعد الإلزام الخلقي مرتكزاً هاماً للنظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز ، خاصة وأنه تناوله من جانبين الوحي الإلهي المقدس ، والتنظير الفلسفي الراقي ، ودراسات متعددة – سابقة – تناولت الجانب الإلزامي للأخلاق بصورة إما نمطية ، أو سردية دون التوغل في فكر دراز الديني المنبثق من القرآن الكريم ، أو الفلسفي الراجع إلي محاولته الرد علي المذاهب الفلسفية الغربية السابقة ، الأمر الذي شكل حافزاً لخوض هذه الإشكالية بشيء من الحذر المشوب بالخوف والقلق ، خاصة وأنها تحتاج إلي إلمام كبير برؤية دراز من ناحية ، وتحليلها من خلال مؤلفاته الرصينة من ناحية أخري ، بالإضافة إلي تحليل شامل ومتكامل للنظريات الأخلاقية الغربية ، الأمر الذي مثل لنا تحد ومغامرة نسأل الله فيها العون والسداد .

5 – محاوله سبر غور المقولات الحاملة لفكر دراز في الأخلاق ، وذلك باستنطاق الآيات القرآنية التي تناول فيها المسألة الأخلاقية في القرآن الكريم ، ومن أهمها ما ضمنه كتابه دستور الأخلاق في القرآن ، لمحاولة الإجابة عن الأسئلة التي طرحها ، والتي كانت وما زالت موضع اهتمام كبير في الفكر الإسلامي . لعلنا نصل إلي جديد قد تفلت من بين أنامل الباحثين والدارسين .

– **إشكالية الدراسة .**

1– ما المفاهيم الأخلاقية البانية التي أبدعها دراز في نظريته الأخلاقية ؟

2– ما منهجية دراز في التأسيس للنظرية الأخلاقية ؟

3– ما مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية الإسلامية عند محمد عبد الله دراز ؟

4– ما عناصر الحياة الأخلاقية التي استخرجها محمد عبد الله دراز من القران الكريم !!؟

5– هل يمكننا الحديث عن نموذج نظري أخلاقي – معاصر – نابع من القرآن الكريم يشكل نسقاً معرفياً أخلاقياً يصلح أن يكون نظرية أخلاقية قرآنية خالصة ؟

6- لماذا اختار محمد عبد الله دراز القرآن الكريم منطلقاً لبحثه الأخلاقي دون باقي النظريات الكلامية أو الفقهية كما فعل باحثون لاحقون ؟!

7- من أين تأتي القاعدة الأخلاقية ؟ وبأي الشروط تَفرض نفسها ؟ وما النتائج التي تترتب على موقفنا منها ؟ وما المبدأ الذي يجب أن يلهم سلوكنا ؟

8- بأي وسيلة تُنال الفضيلة والإلزام، والمسئولية ، والجزاء عند محمد عبد الله دراز ؟

9- ما هي شروط المسئولية الأخلاقية والدينية ؟

10- ما أنواع الجزاء ؟ وما منهجية محمد عبد الله دراز في رؤيته للجزاء الأخلاقي المستمد من القرآن الكريم وآياته الحكيمة ؟

11 – ما النية ودوافعها والجهد الأخلاقي عند محمد عبد الله دراز ؟

- الدراسات السابقة .

عند مطالعة بعض من الدراسات السابقة برزت لنا إشكاليات عدة – رغم قيمة هذه الدراسات – منها :

أولاً : لا توجد دراسة متعمقة مستفيضة لنظرية دراز الأخلاقية – علي حد إطلاعي المتواضع – فقد تبين من جُل الدراسات التي تم الرجوع إليها ، أنها لم تف حقها فقد تناولتها تناولاً شاملاً أو مجتزأ ، أو بحثت في إطارها العام دون الخوض في تفاصيلها المبدعة .

ثانياً : جاءت الدراسات السابقة حديثة النشر فمعظمها – تقريباً – كتب ونشر بعد عام 2020 مما يدل علي حداثة التفات الباحثين والدارسين إلي فكر دراز ، التي باتت أرضاً خصبة جعلت الباحثين يتسابقون لينهلون منها بغية شرف الوصول أولاً ليكون لهم السبق والريادة . كما يدل علي أن فلسفة دراز تعد – بحق – حقلاً معرفياً بإمكانه إغناء الفكر العربي المعاصر بما يلزمه من أدوات بغية تجديده وتحديد معالم ريادته .

ثالثاً : أفردت كثير من الدراسات السابقة صفحات عدة – كما سنري لاحقاً – للحديث الشخصي عن دراز وعصره ، ونشأته ومؤلفاته ، والأوضاع السياسية ، والأوضاع الثقافية والفكرية ، ومساره التربوي ، وأهم شيوخه وتلاميذه ، وهو جزء لاشك مهم ، غير أن الإسراف فيها دون الخوض في لب القضية المطروحة يقلل من القيمة العلمية لأي دراسة . وانطلاقاً من عرض هذه الإشكاليات نتناول الآن بعض من أهم الدراسات السابقة ، والتي كانت معيناً غنياً لخوض غمار هذه الدراسة وإتمامها ، وهي علي النحو التالي :

1- إبراهيم أحمد الديبو : أسس النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم دراسة في كتاب الدكتور محمد عبد الله دراز (دستور الأخلاق في القرآن الكريم) ، مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير ، العدد الثالث ، سوريا ، 2020 .

خلصت هذه الدراسة إلي إنَ موضوعات الأخلاق في الإسلام متناثرة في كتب علم الكلام والفلسفة الإسلامية حيث تفيض بالحديث عن مسألة الخير والشر ، أو الحسن والقبح ، ومعيار الأخلاق وحقيقة السعادة ، ومسألة الإرادة الإنسانية والفعل البشري ، ونجد بعض أسس الأخلاق في علم أصول الفقه ، كالتكليف والمسئولية والجزاء ، كما نجد مادة متفرقة في الأخلاق عند المفسرين ، وفي كتب شروح السُنَّة ، وتلك الكتب رغم كثرتها واختلاف مناهج أصحابها ، غير أنها تناولت المسائل الأخلاقية بشكل متفرق ، ولم تهتم بتأصيل نظرية إسلامية للأخلاق متكاملة الأصول من خلال القرآن الكريم .

إن هذه الدراسة دارسة جادة ومتميزة رغم صفحاتها التي لا تتجاوز العشرين صفحة ، إذ تطرقت باستفاضة إلي حياة الدكتور محمد عبد الله دراز ومكانته العلمية ، والمنهجية العامة له في كتابه دستور الأخلاق في القرآن ، والتقت مع دراستي في أسس النظرية الأخلاقية ، وعولنا عليها في هذا العنصر إلي حد ما ، غير أنها لم تعتمد علي باقي مؤلفات دراز القيمة مكتفية بكتابه سابق الذكر مما يحجب كثير من الرؤي والمفاهيم التي تطرق لها دراز عبر مشواره العلمي الرصين . وهو ما حاولنا سد خلله – قدر المستطاع – بعون الله .

2 – عبد الكريم القلالي : العقل والنقل في الدراسات القرآنية المعاصرة آراء العلامة محمد عبد الله دراز نموذجاً ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب ، 2020 .

تناولت هذه الدراسة قضية التفاعل بين العقل والنقل ، والتي حظيت باهتمام كبير في مختلف مجالات العلوم قديماً وحديثاً ، ومنها الدراسات القرآنية التي تأثرت بعلاقة العقل بالنقل من زوايا مختلفة لزاوية إثبات الأصول النقلية ، ومن زاوية توظيفها ، وركزت الدراسة على أحد أهم العلماء المعاصرين الذين عرفوا بحصافة الرأي وسداد القول ، وهو الدكتور محمد عبد الله دراز ، ولما لمؤلفاته في الدراسات القرآنية ، من أهمية وما تتميز به آرائه من جدة وأصالة .

توصلت هذه الدراسة إلى أن محمد عبد الله دراز ، لم يكن من الداعين إلى إعمال العقل وإلغاء النقل ، ولا من الداعين إلى إعمال النقل وإلغاء العقل ، بل قرر أن العقل لابد له من الشرع ، وأن الشرع لابد له من العقل لفهمه وإدراكه . ورغم تميز هذه الدراسة في تأكيدها علي جانب مهم من فكر محمد عبد الله دراز ، إلا إنها لم تسلط الضوء بشكل كامل علي حقيقة النقل والعقل – بشكل متقن – عند محمد عبد الله دراز . وهو ما حاولنا عرضه فما من فكرة تم عرضها إلا وكانت مشوبة بالدليل العقلي والنقلي من خلال عرض بين الجانبين الوحي الإلهي والتنظير الفلسفي .

3 – عيسى بن بها : أركان النظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز ، مجلة نماء المتخصصة في علوم الوحي والدراسات الإنسانية ، المغرب ، 2022 .

تناولت الدراسة النظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز ، وهدفت إلى تسليط الضوء على مقاربة دراز الأخلاقية في الدرس الأخلاقي المعاصر ، وقد تجلّت ملامحها في الانتقال من مجرد الاشتغال بالأخلاق العملية فقط ، كما هو السائد عند الأخلاقيين القدامى ، إلى الاشتغال بالأخلاق النظرية والعملية معاً . وقد سلَكَت هذه الدراسة منهجية التحليل والمناقشة . وأما نتائجها فكان من أهمها : إبراز القوة التنظيرية لدراز في القدرة على تأسيس نظرية أخلاقية إسلامية معاصرة ، تلخصت مبادئها في خمسة أركان وهي : الإلزام الأخلاقي، المسئولية الأخلاقية ، الجزاء ، النية والدوافع ، الجهد المبدع . إضافة إلى طرح سؤال الإطار النظري للفكر الأخلاقي الإسلامي المعاصر ، وقد أبدع دراز في مقاربة هذه المبادئ والأسس ، حيث أنتج نظرية متكاملة في الأخلاق النظرية جديرة بأن تكون أساساً معرفياً ، وإطاراً نظرياً للدراسات الأخلاقية في الفكر الإسلامي المعاصر . وقد عرض دراز مجملَ أفكارِ نظريته الأخلاقية في كتابه دستور الأخلاق في القرآن ، وصاغ أسس نظريته من النص القرآني ، دون أن يكون أسيراً للمقاربات الأخلاقية اليونانية والفارسية كما حدث مع الكثيرين من القدامى والمعاصرين .

إن هذه الدراسة تعد بحق دراسة قيمة ومتميزة عولت عليها كثيراً ، رغم قلة عدد صفحاتها التي لم تتجاوز الأربعة وعشرين صفحة ، غير أن تناولها للموضوع جاء بطريقة عابرة دون التعمق في المفاهيم المفصلية في فلسفة دراز الأخلاقية النظرية الأخلاقية ، أو الإشارة إلي رؤيته النقدية للكتابات السابقة عن النظرية الأخلاقية وهو ما حرصنا – ما أمكن – علي تأكيده وإيضاحه في هذه الورقة البحثية .

4 – أحمد عبد الحليم عطية : عبد الله دراز والأخلاق القرآنية ، مجلة أوراق فلسفية ، العدد 101– 102 ، القاهرة ، 2023 .

تعتبر هذه الدراسة الصغيرة جداً بصفحاتها الأربعة عشرة صفحة ، تحليل لمحتويات كتاب دراز دستور الأخلاق في القرآن ، عبر الحديث عن فصول الكتاب ، مع شرح لما تناوله دراز في مؤلفه سابق الذكر دون التركيز علي حقيقة النظرية الأخلاقية عنده ، أو المنهجية التي اتبعها للوصول إلي رؤية إسلامية أخلاقية خاصة به . وتختلف دراستي الحالية عن هذه الدراسة في جوانب عدة منها : الرجوع إلي جل مؤلفات دراز الأخلاقية ، وعدم الاكتفاء بمؤلفه الأشهر دستور الأخلاق في القرآن ، مما ساعدنا علي انتقاء منهجية دراز الأخلاقية عبر رحيق مؤلفاته المختلفة ، بالإضافة إلي التركيز علي أسس النظرية الأخلاقية عنده ، والتي منها الإلزام ، والمسئولية ، والجزاء .... إلخ .

– محتوى الدراسة .

لتحقيق أهداف هذه الدراسة ، ولتدقيق صِدْق فروضها وتساؤلاتها وفي ضوء المنهجية العلمية ، التي التزم بها ، تم تقسيم هذه الدراسة إلي العناصر التالية :

أولاً : المفاهيم المفصلية في فلسفة محمد عبد الله دراز الأخلاقية .

ثانياً : رؤية محمد عبد الله دراز النقدية للكتابات السابقة عن النظرية الأخلاقية .

ثالثاً : مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز .

1– الإلزام الخلقي .

أ – الإلزام الخلقي بوازع العقل بين الوحي الإلهي والتنظير الفلسفي .

ب – الإلزام الخلقي بوازع الضمير بين الوحي الإلهي والتنظير الفلسفي .

2– المسئولية .

أ– أنواع المسئولية .

ب– شروط المسئولية .

3– الجزاء الأخلاقي .

أ– الجزاء الإلهي .

ب– الجزاء الوجداني .

ج– الجزاء الاجتماعي .

4 – النية والدوافع .

أ– النية كشرط لصحة الفعل الأخلاقي .

ب- النية وطبيعة العمل الأخلاقي .

ج – فضل النية على العمل .

د- إخلاص النية واختلاط البواعث .

5 – الجهد .

- منهج الدراسة .

سلكت في هذه الدراسة منهجاً يجمع بين الوصف والتحليل والمقارنة والنقد ، فكنت حريصاً على وصف النظرية الأخلاقية من خلال أصولها النظرية ، وتطبيقاتها العملية ، مع التأكيد علي مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية في فكر دراز ، بالإضافة إلى التحليل والمقارنة ؛ لكشف جوانب التميز والسبق في صياغة أصولها . أما المنهج النقدي فحيث توضع جهوده وآرائه على محك النقد العلمي تقييماً وتقويماً من خلال مقارنتها بآراء الدارسين المعاصرين له ، أو اللاحقين عليه وذلك لمعرفة محطات الاتفاق والاختلاف والإبداع .

هذا ... وأسال الله عز وجل أن يغفر لنا ما وقع منا من خطأ ، أو تقصير ، أو قصور ، وأن يتقبل جهدنا المتواضع ، وأن يعيننا على الإخلاص في القول والعمل ، ونعوذ بالله العلي العظيم من فتنة القول ، ومن حرمان التوفيق . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أولاً : المفاهيم المفصلية في فلسفة محمد عبد الله دراز الأخلاقية .

إنّ فهم مصطلحات الدراسة يُعد مفتاح فهم مَرامِي الباحث ومقاصده ؛ لأنَّ هذه المصطلحات غالباً ما تُبنَي عليها كثير من مسائل البحث وموضوعاته . كما أنَّ العلم بحقائق المصطلحات ، والوعي بمفاهيمها ، يُعد مدخلاً أساسياً ؛ لتضييق دائرة الخلاف ، أو إزالته . إذ ما نكاد نجد خلافاً في أمر مَّا ، إلا ومن ورائه : اختلاف ، أو سوء فهم ، أو جهل بحقيقة الأمر المختلَف عليه . فباتت الحسّاسية البالغة لِتأطير المفاهيم وتحديد الدّلالات لها ، ودورها في مسار البحوث ، وكذلك الالتباسات المفاهيمية التي توجب عادةً نزاعاتٍ عبثيّةً غير منطقيّةٍ ، تفرض علينا ، لذا أري أنه من الأهمية بمكان قبل البدء في صلب هذه الدراسة الدراسة ، أن نذكر عدّة مصطلحات نظنّها مؤثّرةً في طبيعة الموضوع ومَنحاه لابد من إيضاحها :

1- **التأصيل** وهو النظر في الأمور والقضايا المراد الحكم عليها بردها إلى القاعدة التي يلزم تطبيقها ، فلا ترد إلى قاعدة غيرها ولا ينظر إليها نظرة مستقلة وكأنها شيء

لا أصل له . وتأصيل الشيء ، أو الفكرة يكون بردها إلى أصلها ، أو إيجاد أصلاً لها ضمن النظام المعرفي المعتمد . وارتبط التأصيل في اللغة المستعملة بالأصالة بمعنى الجدة والإبداع ، فالفكرة الأصيلة فكرة جديدة غير مسبوقة ، وارتبط التأصيل في اللغة المستعملة بالماضي فالأصيل هو ما له أصل في الماضي ، ومن ثم أصبحت الأصالة تقابل المعاصرة . فالتأصيل هو البناء على الأصل ، والانطلاق منه ، والارتباط به . والأصل هو القاعدة التي يتم البناء عليها ، فمثلاً عند قولنا : " الأصل في الأشياء الإباحة"، يمثل هذا قاعدةً شرعية في بيان الأحكام ، ويتم تطبيق القاعدة على الحالات والأمثلة والقضايا ، حتى يتم الحكم عليها والخروج برأي فيها . فالتأصيل في هذا المجال ، هو النظر في الأمور والقضايا المراد الحكم عليها ، بردّها إلى القاعدة التي يلزم تطبيقُها ، فلا تردُّ إلى قاعدةٍ غيرِها ، ولا يُنْظَرُ إليها نظرةً مستقلة ، وكأنَّها شيءٌ لا أصل له . (2)

أما مصطلح التأصيل الإسلامي فهو واحد من عدد من المصطلحات التي ترتبط ببعضها فيما يكوّن حقلاً دلالياً واحداً ، فالتأصيل الإسلامي لعلم الأخلاق ، أو القيم ، وإسلامية علم الأخلاق ، وأسلمت علم الأخلاق ، والتوجيه الإسلامي لعلم الأخلاق ، وعلم الأخلاق في المنظور الإسلامي ، كلها مصطلحات تنتمي إلى الحقل نفسه ، ولكن اختيار أي منهما قد لا يكون بالضرورة قراراً معرفياً منهجياً بقدر ما يكون رغبة في استبعاد الدلالات ، والظلال التي ربما توحي بها المصطلحات الأخرى (3) .

2- علم الأخلاق عرفه دراز بأنه : " جملة القواعد التي ترسم لنا طريق السلوك الحميد ، وتحدِّد لنا بواعثه وأهدافه هذا إجمال له تفصيله . فكلمة علم الأخلاق لفظ مشترك بين نوعين من البحث :

أحدهما : بحث عن أنواع الملكات الفاضلة التي يجب علينا التحلِّي بها ، كالإخلاص والصدق ، والعفَّة والشجاعة ، والعدل والوفاء ، وأمثالها . ويُسمَّي علم الأخلاق العملي ، وهذا النوع في الحقيقة هو أمسُّ الضربَيْنِ بالحياة ، وأحقهما بأن يكون نبراساً في كلِّ يدٍ . فهو الغذاء اليومي ، بل هو الواجب العيني ، ولذلك لا تكاد تخلو أمَّة في القديم والحديث من معرفته ، والحثِّ على آدابه التي تصل إليها بالفطرة ، أو بالفكر، أو بالتجربة ، أو بالوراثة والرواية .

والثاني : بحث عن المبادئ الكليَّة والمعاني الجامعة ، التي تُشتق منها تلك الواجبات الفرعية ، كالبحث عن حقيقة الخير المطلق ، وفكر الفضيلة من حيث هي ،

وعن مصدر الإيجاب ومنبعه ، وعن مقاصد العمل البعيدة ، وأهدافه العُليا ، ونحو ذلك . ويُسمَّى فلسفة الأخلاق ، أو علم الأخلاق النظري وهو من علم الأخلاق العملي بمنزلة أصول الفقه من الفقه ، فهو شأن الخواص والمجتهدين ولا يُطلَب من غيرهم إلَّا كما تُطلَب النافلة بعد تمام الفريضة ، ولذلك لا نجد له من الأقدمية ولا من الشمول ما لعلم الأخلاق العملي . " (4)

3- الضرورة الأخلاقية ذات طابع تركيبي متحرك تتطلب نشاط فاعل مريد وحر لإيجاده في الواقع فهي الإلحاح على مثال أعلى عملي يطلب حقه في الوجود الفعلي (5) .

4- النور المزدوج نور يجمع بين نورين ، يشير الأول إلى نور العقل الذي زرعه الله سبحانه وتعالي في البشر جميعاً ، بوصفه فكرة فطرية تتضمن الضمير الذي يخلف شعوراً يلزم المرء بضرورة اتباع ما يراه حقاً خالف رأي الناس أو وافقه ، والثاني نور الوحي الذي أرسله الله عبر رسله إلى الأرض . وفي قلب المؤمن يستقر نوران، على حين لا يجد الملحد سوى نور واحد، وهذا هو معنى رمز النور المزدوج (6) في قوله تعالى :﴿أغم فجٍ فحفخً (7)

5- الجزاء الأخلاقي الثوابي جزاء سابق على الجزاء التكليفي . الذي لا يفرضه علينا إلا لكي يوقف أثر هذا الجزاء العاجل ، فإما ألا يكون للتكليف الأخلاقي معنى ، أو يكون لممارسة الفضيلة ، وهجر الرذيلة بعض الأثر الواقعي ، الشعوري أو اللاشعوري ، لصالحنا ، أو ضد صالحنا ، وبغير ذلك يصبح خضوعنا للشرع عملاً بلا جدوى ، أمراً من سيد مستبد ، يدفعنا إلى أن نعمل من أجل الاستمتاع فقط بأنه يدفعنا إلى العمل . ولو كان الأثر المؤجل لطريقتنا في الحياة ينتهي إلى أن يمس حساسيتنا ، برفق أو بقسوة ، دون أن يغير ملكاتنا العليا تغييراً عميقاً . (8) بعد عرض أهم مصطلحات الدراسة ننطلق إلي تناول رؤية محمد عبد الله دراز النقدية للكتابات السابقة عن النظرية الأخلاقية كعنصراً مهماً يعطي الكثير من الدلالات والأبعاد علي النحو التالي .

ثانياً : رؤية محمد عبد الله دراز النقدية للكتابات السابقة عن النظرية الأخلاقية .

" لا يكاد المرء يقلب صفحات كتاب ، أو دراسة تتصل بالدرس الأخلاقي المعاصر في الإسلام عموماً ، وفي القرآن خصوصاً ، أيا كان تصور أصحابها لما هو الدرس الأخلاقي النموذجي ، إلا ويجد إقراراً مشوباً بالأسف بالفقر والضحالة والإهمال ، الذي ألمَ بهذا الضرب من المعرفة والبحث . " (9) " فلم يزل المبحث

الأخلاقي في مجمله أجنبياً لدى القارئ العربي والانطباع السائد أن هذا الضرب من البحث مثمر فقط لدى مخاطبة غير المسلمين ، أو للمسلمين الذين يعيشون في بلدان غير إسلامية . (10) الأمر الذي تنبه إليه محمد عبد الله دراز (*) حين وضع عدة ملاحظات أبداها على المؤلفات الغربية في علم الأخلاق الإسلامي وهي : " إنَّ فيها فراغاً هائلاً وعميقاً ، نشأ عن صمتهم المطلق عن علم الأخلاق القرآني ، إنها تذكر لنا باختصار ، أو بإفاضة ، المبادئ الأخلاقية ، كما ارتأتها الوثنية الإغريقية ، ثم أديان اليهودية والمسيحية ، ولكنها حين تنتهي من عرض هذه المراحل الثلاثة ، نجدها تنقلنا بغتة إلى العصور الحديثة ، في أوروبا ، وإغفال كل ما يمسُّ الدستور الأخلاقي في الإسلام ، فليس هنالك عالم أوروبي واحد ، حاول أن يستخلص من القرآن الكريم مبادئه الأخلاقية العامة كما فعل محمد عبد الله دراز ، ولم يكن لدى أي من العلماء الغربيين اهتمام بأن يصوغ قواعد القرآن الكريم العملية ، ويقدمها في صورة دستور كامل ، وإنما انحصرت كل جهودهم في جمع عدد قليل أو كثير من الآيات القرآنية المتعلقة بالعبادة ، أو بالسلوك ، وترجموها ترجمة حرفية . " (11)

ثم تتبع الدكتور محمد عبد الله دراز بشكل تاريخي تحليلي ما جمعه العلماء الغربيون وقدَّم أفكاراً تقييمية فاحصة حول أمثلة منها ، فذكر أنَّ المستشرق (جارسان دي تاسي) Garcin de tassy يعد من أوائل الذين قدموا نصوصا قرآنية ، فقد كتب كتابا صغيراً سماه القرآن مبادئه وواجباته ، ثم جاء من بعده (لوفيفر) lefevre و(بارثلمي سانت هيلير) Barthelemy, s. hilaire .

وأما من حيث عيوب المضمون – فذكر دراز– أنَّ " : مرجعها إمَا إلى ترجمات غير صحيحة ، وإما إلى تلخيص سيئ ، وإما إلى الأمرين معاً ، وهو ما نجده واضحاً لدى المستشرق (جول لا بوم) jules la beaume في كتابه " تحليل آيات القرآن " ، وهو مع ذلك أقل الأعمال التحليلية في هذا المجال بعداً عن التمام . (12) ثم أنهى نقده للدراسات السابقة التي تناولت الجانب الأخلاقي في القرآن الكريم ، مؤكداً على الحاجة الملحة لتقديم دراسة جادة تبتعد عن جانب القصور في الدراسات السابقة وأيضاً تتجاوز الأخطاء التي وقعت ، وسد فجوة واسعة في المجال الأخلاقي والنظرية الأخلاقية في القرآن الكريم ، ولإظهار تميز الإسلام في موضوع الأخلاق وسمو المبادئ التي دعا إليها . (13)

أما عن الملاحظات التي أبداها الدكتور محمد عبد الله دراز على مؤلفات العلماء المسلمين ، يلاحظ أنَّ مكتبتنا الإسلامية جمعت قسمين فقط من التعاليم المتعلقة بالأخلاق :

القسم الأول : نصالح تتوجه إلى الجانب العملي ، ليس لها من هدف إلا تقويم الأخلاق .

والقسم الثاني : ترتيب الفضائل وملكات النفس وفق التقسيم الأرسطي أو الأفلاطوني . ثم قال : " وكثيراً ما نرى المنهجين يتعاقبان في قلم كاتب واحد ، وإذن فلم يكن هنالك سوى كتب إنسانية محضة ، أجهد مؤلفوها أنفسهم ، فاستودعوها ثمرات تأملاتهم ، ودراساتهم الفلسفية ، ولم يظهر فيها النص القرآني كلية ، أو هو لا يكاد يظهر إلا بصفة ثانوية . فلم تكن الأخلاق القرآنية إذن الموضوع الرئيسي للدراسة ، والتقنين لدى المسلمين أو المستشرقين ، لا من الناحية النظرية ، ولا من الناحية العملية . " (14)

وبعد أن وجَّه الدكتور دراز نقده للكتابات الغربية والإسلامية في مجالات الأخلاق الإسلامية ، شرع في بيان مجال بحثه ، والإضافات التي خلص إليها في المجالين النظري والعملي . أما المجال النظري ، فالدكتور محمد عبد الله دراز – كما ذكر في مقدمته – لم يقل بأن ما قدمه من دراسات وأبحاث وما خلص إليه من نتائج هو محض ابتكار لم يُسبق إليه ، أو لم يعتمد فيه على جهود من سبقه بل أكد بأن العلماء المسلمين في وقت يبدو مبكراً جداً ارتادوا هذا المجال وكتبوا فيه ، وتركوا تراثاً أخلاقيا مهما في مجالات علم الأصول وعلم الكلام وعلم الفقه وعلم التصوف ، فمنهم من تكلم عن المسئولية الأخلاقية ومنهم من ناقش مقاييس الخير والشر والحسن والقبح ، كما تكلم الفقهاء عن مسئولية الإنسان عن فعله وعن الإكراه والخطأ والنسيان ، وتكلم الصوفية عن بواعث العمل ومقاصده ، ومكانة النية والإخلاص في قبول الفعل أو رده . إلا أن دراز رأى أن تلك الدراسات والجهود فيها نقص يمكن أن نلحظه في جانبين :

الأول : إنها لم تنتظم في مكان واحد لتشكل نظرية أخلاقية بل بقيت موزعة في كتب ومذاهب متنوعة ، ولم تكن تهتم بالمفهوم الخاص للأخلاق ، وإنما هذه الأفكار قد بقيت متناثرة في مختلف المذاهب التي لم تعن دائماً بوجهة النظر الأخلاقية بمفهومها الخاص .

الثاني : إن موقف هؤلاء العلماء من النظرية الأخلاقية تداخلت مع نظرتهم الشخصية أو تأثرت بالمذهب الذي ينتمون إليه ، ولم تكن نظرة موضوعية ، وقد بد ذلك جلياً من خلال جعل الآيات القرآنية شواهد ، ولا تذكر في مقام التأصيل ابتداء .

وإذا انتقلنا إلى الجوانب المتصلة بالعمل فقد عرض دراز لكتاب " جواهر القرآن " الذي كتبه الإمام الغزالي مبرزاً فيه جواهر القرآن الكريم وخلص فيه إلى أن القرآن الكريم يتضمن عنصرين الأول معرفي والثاني سلوكي ، وقال بأن القرآن الكريم اشتمل على سبعمائة وثلاث وستين آية في الجانب الأول ، وعلى سبعمائة وإحدى وأربعين آية في القسم الثاني . (15) وقد تأسف الدكتور دراز لأن الأسس التي وضعها الغزالي لم يأت من يشيدها ويضع لبنات جديدة تكمل ما بدأه الغزالي . فيقول : " ومن المؤسف أن هذا النوع من الحصر والتصنيف الذي يعد خطة أولي في سبيل إعداد المواد للتشييد ، لم يعقبه ما يقتضيه من عمل ضروري يهدف إلي إعلاء البناء (16) " .

ثم ختم الدكتور محمد عبد الله دراز رؤيته التقييمية مؤكداً على المهمة التي ندب نفسه لها بقوله : "وهكذا لم ينهض أحد – فما نعلم – حتى الآن باستخلاص الشريعة الأخلاقية من القرآن الكريم في مجموعه ، ولم يحاول أحد أن يقدم لنا مبادئها ، وقواعدها في صورة بناء متماسك مستقل عن كل ما يربطه بالمجالات القريبة منه ، وتلكم هي المهمة التي انتدبنا للوفاء بها ، بقدر ما تطيقه وسائلنا . " (17)

لقد سعي دراز إلى مناقشة جل المسائل والمعضلات الأخلاقية محللاً النظريات المختلفة ومقرراً رؤيته وفهمه للنظرية القرآنية إزاء كل منها إن هذا الاتساع في الرؤية لا يخلو من سلبيات انعكست أحياناً على عمق التحليل المتصل ببعض المسائل والمعضلات ، إلا أنه لا يمكن التقليل إطلاقاً من عمق الحجاج الفلسفي الأخلاقي الذي قدمه بل لقد فتحت دراسته آفاقاً جديدة في النظر الأخلاقي عموماً وفي القرآن الكريم خصوصاً على نحو يسهم في إعادة صياغة للمنظومة التقليدية العقدية والتشريعية ، الأمر الذي لم يتم استثماره بعد مثل النظر في لوازم فكرة الأساس الأخلاقي للتشريعات القرآنية ، التي أثبتها دراز بالاستقراء التام ، وما تثيره من أسئلة عن مقاصد هذا التأسيس الأخلاقي للتشريعات وأثره وفائدته في حياة البشرية . (18)

لكن لماذا اختار محمد عبد الله دراز القرآن الكريم منطلقاً لبحثه الأخلاقي دون باقي النظريات الكلامية ، أو الفقهية كما فعل باحثون لاحقون ؟!! لهذا السؤال أهمية بالغة لا تقتصر علي فهم رؤية دراز وحده بل تتجاوزها لفهم تطورات الفكر الإصلاحي

والأسس المعرفية التي قام عليها فقد سعي دراز شأن معظم المصلحين إلي العودة إلي الأصول الأولي للإسلام متمثلة في القرآن الكريم أساساً ، والسنة تبعاً ، متجاوزاً بذلك التراث الكلامي ، أو الفقهي من غير إهمال مطلق ؛ نظراً إلى أن الرؤية الأخلاقية التي تضمنها هذا التراث ، تعبر عن روح المذاهب التي انتسب إليها أصحابها ، أكثر من كونها صادرة عن فهم أو استدلال مباشر من نصوص القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة . (19) الأمر الذي بدا واضحاً في حديثه عن الإلزام الخلقي ، الذي يُعد مرتكزاً للنظرية الأخلاقية عنده والذي نحاول أن نوضحه بالتركيز علي أكثر مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية عند دراز متمثلة في الإلزام ، والمسئولية ، والجزاء ، والنية والدوافع ، والجهد وذلك فيما يلي .

ثالثاً : مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز .

قبل الحديث عن الإلزام الخلقي كأحد أهم مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز (موضوع الدراسة) ، أود أن أشير إلي تعدد النظريات والاتجاهات والمذاهب الأخلاقية تجاه الإلزام الخلقي ، حيث اختلف فلاسفة الأخلاق في تفسيرهم للإلزام الخلقي ، وفهمهم لطبيعته ، وتحديدهم لمصادره ، فوضعوا مجموعة من المذاهب رغم اختلافها إلا أنها محاولات فلسفية ؛ من أجل وضع دعائم للأخلاق والإلزام الخلقي ، والبحث عن المَثَل الأسمى لها ، والارتقاء بالإنسان ؛ لتحقيق خيره وسعادته ، واقترابه من الكمال . الأمر الذي دعا ليفي بريل إلي قوله : " إذا كنا نجهل الصفات الإيجابية للمذاهب الأخلاقية النظرية ، فإننا نعلم صفاتها السلبية . فليست هي التي تضع المبادئ الموجِّهة للعمل الخلقي ، سواء أزَعِمت لنفسها هذا الحق ، أم لم تَزْعَمْه . " (20)

كانت الأخلاق قُبَيْل عصر المذهب الاجتماعي ، تدخل في نطاق الدراسات الفلسفية ، بمنهجها التأملي التحليلي ، وذلك باعتبار أن الأخلاق أحد فروع مبحث القيم . وكان الفلاسفة يبحثون في الأخلاق بوصفها علماً معيارياً ، يحدد للإنسان المبادئ التي ينبغي أن يسير عليها ؛ ليكون سلوكه أخلاقياً ، ومتصفاً بالخيرية . فجاء المذهب الاجتماعي ، ورفض هذه المعيارية الفلسفية ، وقرر نقل الدراسة الأخلاقية من الفلسفة التأملية ، إلي علم الاجتماع الوضعي التجريبي . (21) وأصبحت الأخلاق تهتم بدراسة ما هو قائم فعلاً من ظواهر أخلاقية في المجتمع ... وطرحت جانباً دراسة ما ينبغي أن يكون من سلوك أخلاقي " ومثل عليا ؛ لأن هذه المثل في نظر الوضعيين ، نبتت وفق حياة الجماعات البشرية ، ولم يخلقها فلاسفة الأخلاق ،

إنها صدي رغبات الأفراد في إرضاء المجتمعات التي ينتمون إليها ، وليس علي عالِم الأخلاق إلاّ أن يدرسها مع غيرها من الظواهر الخُلُقية ، وكما هي موجودة بالفعل ، لا كما ينبغي أن تكون ، وبهذا يصبح المجتمع هو المصدر الأعلى للقيم ، والمرجع الأسْمَى لكل سلطة أخلاقية وإلزام خلقي . (22)

إن الأخلاق في ظل التنظير الفلسفي للمذهب الاجتماعي ليست من صنع الفرد " وإنما المجتمع هو الكائن الأخلاقي الذي تصدر عنه الحياة الأخلاقية . " (23) يقول دور كايم : " لم أجد في كل أبحاثي ودراساتي ، قاعدة خلقية واحدة ، ليست نتاجاً لعوامل اجتماعية خاصة . " (24) بل إن السمات المميزة للإنسان ، مُستمَدة من المجتمع ، وأن المرء لا يستطيع بأية حال أن يتجاهل المجتمع والحياة الاجتماعية اللذان يحددان وجوده . (25) وأن الحقيقة الخلقية لا تنشأ إلاّ من الواقع الجمعي . فالمجتمع هو الآمر الحتمي . " بل إن الجماعة تسبق الوجود الفردي وتشكِّله ، وهي منبع الثقافة والقيم ، وأن التغيرات الاجتماعية لا تتأثر بالإرادة الفردية . " (26) يترتب علي ذلك نتيجة مهمة ، تتمثل في أن المجتمع وحده هو مصدر الإلزام الخلقي . إن الضمير أو العقل الجمعي ، يضم كافة المبادئ والقيم والأوامر والنواهي . وغيرها مما هو متعارَف عليه ، ومتفَق بخصوصه بين غالبية أفراد الجماعة . ومما هو متوافق مع ظروف الجماعة . هذا الضمير الجمعي هو الذي يحدد ما يجب أن نمارسه من سلوك ، ونؤديه من أعمال . (27)

أما مذهب الحاسة الخلقية فقد لجأ أصحابه إلي العاطفة ، يستفتونها في أساس للإلزام الخلقي ، فرفضوا – مع العقليين – رد الإلزام الخلقي إلي سلطة تقوم خارج الذات ، وتفرض علي الإنسان مبادئ الأخلاق . " (28) " وأكد هذا المذهب علي جعل سلطة الإلزام تنبع من داخله ، ومن شعوره ووجدانه ، ومن إحساسه الذاتي ، وضميره الخلقي . " (29) ومعيار هذا المذهب يَرجع إلي قوة فطرية في الإنسان ، بها يميز بين السلوك الأخلاقي وغير الأخلاقي . (30)

وكان أكبر ممثل لهذا المذهب اللورد شافتسبري (31) منشئ هذا المذهب ، ويُعتبَر أول من نقل مركز البحث الخلقي من نطاق العقل ، إلي الدوافع الوجدانية ، التي تدفع إلي أداء الواجب الاجتماعي ، وبذلك أقام البرهان علي أن الواجب الاجتماعي ، لا يتنافى مع حرص الإنسان علي مصالحه ، بحيث لا تتعارض الغيرية مع الأنانية . وعلي ذلك فالحكم علي أفعال الناس بالخير أو الشر ، يقترن بالعاطفة والوجدان ، فيكون الفعل خيِّراً ، وفاضلاً متي تحققت فيه مصلحة الفرد والمجتمع في

آن واحد . (32) من هذه النظرة انطلق أصحاب مذهب الحاسة الخلقية إلي الفصل بين الدين الإلهي ، وبين الأخلاق " حيث رفضوا إقامة الأخلاق علي الطمع في نعيم الجنة ، أو الخوف من عذاب النار ، بل اعتبروا ذلك مفسَدَةً للأخلاق ، ويرَوْن أن حب الفضيلة لذاتها – دون اعتبار للنتائج والآثار المترتبة عليها – هو الفَيْصَل في القبول ، أو الرفض ، مستندين إلي أن هذه الحاسة الخلقية لا تتأثر بالإيمان ، أو الإلحاد إيجاباً ، أو سلباً . " (33)

أما مذهب المنفعة فذهب إلي أن الغاية الأساسية في الأخلاق ، هي تحقيق الخير الأسمى . (34) وذلك باتفاق جميع الآراء ، التي أقرت أن هذا الخير الأسمى هو السعادة ، لكن الخلاف بين الفلاسفة بدأ يظهر عند تحديد المعني المقصود بالسعادة ، فهي عند البعض تتخذ طابعاً عقلياً ، وعند البعض الآخر تتمثل في التضحية بالذات . أما المقصود بالسعادة في مذهب المنفعة ، فإنها كل فعل يحقق لصاحبه – أو يُتوقع أن يحقق له – أكبر قدر ممكن من اللذة ، والتي يقصد بها في نفس الوقت المنفعة . أي أن اللذة هي المنفعة ، وهما معاً يحققان السعادة . (35) وقد اختلف النفعيون حول اللذة ، هل هي حسية فقط ؟ أم عقلية ؟ كما اختلفوا فيما إذا كان يحسها صاحب الفعل وحده ، أم تمتد إلي أكبر عدد ممكن من الناس ؟ وإن كانوا جميعاً يتفقون علي أنها غاية الغايات ، وهي الخير الأسمى الذي يلتمسه صاحبه ؛ ليكون وسيلة إلي خيرٍ أَبعَدَ منه . (36) " كما يري النفعيون أن الإنسان بطبيعته وفطرته ، يلتمس سعادته في كل ما يأتيه من أفعال ، بمعني أنه لا يُقْدِم أو يُحْجِم عن فعل ، إلاّ وهو ينشد لذته ، أو يتفادى ألماً يخشى أن يحيق به ، فهو أناني بطبعه وفطرته ، ثم انتقلوا من هذه الحقيقة التي عبروا بها عن الواقع ، إلي مثال أخلاقي ، يصورون به ما ينبغي أن يكون ، فقالوا : ينبغي أن ينشد الإنسان في كل تصرف يقْدِم عليه ، تحقيق لذة ، أو تفادي ألم . " (37)

هكذا حاولت هذه المذاهب الأخلاقية أن " تبلُغ بالأخلاق الإنسانية كمالها ، لكنها لم تفلح في الوصول إلي هذه الغاية ، وإخفاقها هذا تحكمه عوامل كثيرة ، لكن أهمها وأقواها : اعتمادها المطلق علي العقل ، واستبعادها الجانب الديني بشكل أو بآخر . وحتى الذين تركوا للدين مكاناً في مذاهبهم ، فإنهم قد فسَّروا الدين تفسيراً عقلياً ، وجعلوا الالتزام به اختياراً عقلياً ، في ضوء فهمهم لما يسمَّي بالواجب لذات الواجب ، وكأنهم فرَّغوا التعاليم الدينية من أثرها . فضلاً عن أنَّ هؤلاء الذين اعتَبَروا أن أي شيء من خارج الذات – حتى ولو كان من الدين – يُعتبَر قيداً علي حرية الإنسان ،

كما تصوروها هم بعقولهم . " (38) وربما كان استبعاد الجانب الديني " مخافة ارتباط الأخلاق باللاهوت ، أو بالميتافيزيقا . إلا أنه قد ثبت بطلان هذا الفصل التعسفي بين حقائق الدين ، ووقائع السلوك الأخلاقي . " (39) وقد يعود فشل أصحاب المذاهب الأخلاقية ، إلي تركيزهم علي وجه واحد من حقيقة الإنسان المركَّبة ، واتخاذه معياراً لتحقيق سعادته ، " حيث رَكَّز بعضهم علي جِانب عَقْله ، ورَكَّز غيْرهم علي داخله وحِسِّه ، بينما ركَّز آخرون علي رغباته واندماجه في الجماعة . وقد أدي هذا الفهم القاصر منهم لطبيعة الإنسان ، إلي التركيز علي جهةٍ واحدةٍ ، كما أدي إلي المبالغة والقَسْوةٍ في تَصَوُّر الإلزام الخلقي . " (40)

أما موقف الفكر الإسلامي من قضية الإلزام الخلقي ، فليس قاصراً علي المذاهب الأخلاقية السابقة . فالفكر الإسلامي في تعاليمه ومبادئه ، كان أكثر عمقاً ، وأَوْسَعَ دائرة ، وأكثر شمولاً في نظرته إلي سلطة الإلزام الخلقي ؛ لأنه راعي في مصادره الجوانب المتعددة ، والنوازع المختلفة في الطبيعة البشرية ، وتركيبها من عناصر معقَّدة . والإسلام أكثر الأديان السماوية حفاظاً علي إيجاد التوازن ، والتنسيق بين كل ميول الإنسان ، ورغباته وغرائزه ، ووضع النظم والمبادئ التي يستطيع بها تهذيب غرائزه ، وتنمية ملَكاته وميوله ، وتنمية الجوانب الخيرة في طبيعته .

1 – الإلزام الخلقي .

إن الأخلاق الإسلامية تُعد ميداناً للقيم الأخلاقية الفاضلة ، فما جاء به القرآن الكريم في مجال الأخلاق والإلزام الخلقي فإنه ذو قيمة عظيمة ، لا بالنسبة لحياة المسلمين فحسب ، بل للناس جميعاً ، ولذلك فهو يكمل النقص في تاريخ المذاهب الأخلاقية ، ويفتح آفاقاً جديدة في دراسة المشكلة الأخلاقية ، وفي حل كثير من المسائل والصعوبات . (41) ولهذا جعله المسلمون حُجتهم ومرجعهم . بل وأهم مصدر من مصادر الإلزام الخلقي . مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالي :ﱡ**ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ** (42) يضاف إلي ذلك السنة المطهرة المفسرة له . فقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم قوله : (**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنتي**) (43) ونظراً لذلك وجد الفكر الأخلاقي عند المسلمين طريقة للتأثير على الفكر الأخلاقي على المستوى العالمي ، ولا يزال هذا الفكر مسيطرا على سلوك المسلمين في الحاضر، ويعمل على صياغة حياتهم في المستقبل، ولم يكن الأمر كذلك إلا لكون هذا الفكر الإسلامي فكرا عالميا يعالج قضايا الحياة الإنسانية من منظور يسمو على النواحي القومية والعرقية

والإقليمية، وما ذلك إلّا " لأن الإسلام الذي ينبعث منه هذا الفكر هو دين كامل شامل من ناحية، ولأن ممارسة هذا التفكير في ظل الإسلام، وانطلاقا من القيم والثوابت الإسلامية تجعل هذا الفكر بالفعل فكرا عالميا أو إنسانيا، يؤمن به من يؤمن على هذا الأساس، أو ينكره على هذا الأساس من ناحية أخري ." (44)

وانطلاقاً من ذلك نتساءل هل يمكننا الحديث عن نموذج نظري أخلاقي – معاصر – نابع من القرآن الكريم يشكل نسقاً معرفياً أخلاقياً يصلح أن يكون نظرية أخلاقية قرآنية خالصة ؟ وما هي مرتكزات التأصيل الإسلامي لهذه النظرية الأخلاقية الإسلامية ؟ هنا يأتي محمد عبد الله دراز (موضوع الدراسة) " كأحد أهم رواد البحث في الأخلاق القرآنية ، فهو الرائد الذي تبعه عدد كبير في هذا الاتجاه ، يشيرون إليه صراحة ويقتبسون منه ويكملون نفس الاتجاه ، وتعد دراسته " دستور الأخلاق في القرآن " التي كتبها بالفرنسية 1947 ، أصدق تعبيراً عن الاتجاه القرآني في الأخلاق ، وتميز هذا الاتجاه عن الباحثين في الفكر الإسلامي ، أو الأخلاق الإسلامية ، التي تقبل مع القرآن والسنة مصادر أخرى في تناولها لقضايا الأخلاق . القرآن هنا هو المصدر وهو المبدأ والأساس .... وعلى الرغم من أن محمد عبد الله دراز وهو عضو هيئة كبار العلماء المسلمين ، ومن أهم الدعاة المسلمين ، فقد درس في باريس على أيدي : ماسينيون وليفي بروفنسال ولوسن وفالون وفوكونيه ، لذا فهو لم يكتف بتوضيح وجهة النظر الإسلامية بل كان يجليها بمقارنتها بآراء المفكرين والفلاسفة الغربيين . " (45)

يقول عبد الكريم القلالي عن محمد عبد الله دراز إنه من رواد الفكر الإسلامي المعاصر : " الذي عرف بنظرات تجديدية اجتمعت فيه خصائص علمية قل أن تجتمع في غيره سخرها للتوفيق بين النقل والعقل وتوظيف كل منهما في المعرفة على نحو سليم أمثل وقد بذل في مؤلفاته قصاري جهده العلمي فتجلت فيها مواهبه المتعددة ورؤاه الثاقبة وتبين من خلال كل فن كتب فيه علو كعبه ووفرة اطلاعه وعبقريته الفذة النادرة جمع بين المعقول والمنقول في التأصيل والتحليل والرد والتفنيد وكتاباته لم تكن من كتابات المقلدين الجامدين ولا هي من أبحاث المترددين الذين يبدو لهم الحق ثم يخشون الجهر به ولا هي من أبحاث بعض المجددين الذين يتلقفون مفاهيم جاهزة فينشرونها بوعي أو دون وعي بما تحمل من في طياتها من دعوات هدامة لأصول الإسلام وفروعه بل كانت كتاباته كتابات علمية موضوعية على نهج أبحاث المجددين الصادقين من السلف المتقدمين الذين كانوا يقولون الحق ولا يخشون فيه لومه لائم . " (46) فشكلّت مؤلفات محمد عبد الله دراز : " إضافات معرفية سدت

فراغاً في حقول الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام وتاريخ الأديان ، وقد أتاحت له الدراسة المعمَّقة لكل من الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية من منابعهما الأصلية بناء رؤية تركيبية تحليلية فريدة ، بعيداً عن السطحية التبسيطية ، وعن سوء الفهم العقلي ، الذي أصاب الكثيرين ممن وقفوا عند حدود الثقافة الموروثة الراكدة أو الغريبة الوافدة .

" وبذلك ملأ فراغاً لم ينهض أحدٌ من المسلمين ، أو المستشرقين قبله بملئه ، ولم يسبقْ لأحدٍ قبله أن قام باستخلاص الشريعة الأخلاقية من القرآن في مجموعه " (47) وكان عمله متفرداً في بابِه ، جاعلاً من القرآن الكريم مرجعَه الرئيس ، يستخلص منه " الإجابة عن كل مسألة ، بالرجوع المباشر إلى النص . وهنا تكمن الصعوبة ، فإن النصوص المتعلقة بالنظرية الأخلاقية ، ليست بالكثرة والوضوح اللذين تمتاز بهما الأحكام العملية . " (48) تميز فكره برحابة الأفق ، وعمق التحليل ، ودقة الاستدلال ، مع حجاج مقنع ، وبلاغة ساحرة استمدَّها من بلاغة القرآن الكريم كانت أهم سمة من سمات شخصية دراز ، والمنبع الذي فاضت منه كل مآثره العلمية والعملية هي الوله بالقرآن الكريم . كان رجل القرآن بحق ، فقد ملكت عليه محبة القرآن لبه ، وشغفت قلبه ، فكان شغله الشاغل ، لا يكاد يُرى إلا وهو منكب على قراءته وتدبُّره ، أو قائم يصلي به . وقد انصب اهتمامه العلمي على القرآن حصراً ، فلا يكاد يوجد له عمل علمي إلا والقرآن محوره ولبابه ، ولا يستطيع دراز كفكفة عشقه لكتاب الله وتعلقه القلبي به .

ولكي تتكون لدينا فكرة دقيقة عن الطريقة التي ينبغي أن نتصور بها معنى الأخلاق من أين تأتي القاعدة الأخلاقية ؟ وبأي الشروط تَفرض نفسها ؟ وما النتائج التي تترتب على موقفنا منها ؟ وما المبدأ الذي يجب أن يلهم سلوكنا ؟ وبأي وسيلة تُنال الفضيلة والإلزام ، والمسئولية ، والجزاء ، والنية ، والجهد ؟ تِلكم هي العُمد الرئيسة لكل نظرية أخلاقية واعية بمراميها ، (49) نحاول أن نتناولها عند محمد عبد الله دراز . والذي أعلنها من البداية حين قال : " يفخر أصحاب المذاهب الأخلاقية بأنهم اكتشفوا مصدراً آخر للإلزام الخلقي غير الوحي السماوي ، ذلك هو النور العقلي ، أو الإحساس الأخلاقي ، أَلاَ فليعلموا أنهم لم يأتوا بجديد عن الإسلام . فالقانون الإسلامي في رجوعه إلي العقل والوجدان ، فإنه يرجع إليهما لا باعتبار أنهما شهيدان له فحسب ، يؤيدان حكمه ، بل إنه يقلّدهما مقاليد الحكم ، ويخوّلهما حق الأمر والنهي." (50)

إن الإسلام – من وجهة نظر محمد عبد الله دراز – كفل الخير للفرد وللناس جميعاً ، في كل البيئات ، وفي جميع الحالات ، وفي كل الأوقات ، فأمَر بالفضيلة

ورغَّب فيها ، ونهَي عن الرذيلة ، وبغَّضها إلي الناس ، وتسامَي بفاعلِي الخير عن أن يتوقعوا جزاء من الناس ؛ لأن الجزاء الأوفى من الله وحده ، وسما بهم عن اتخاذ الخير سُلَّماً إلي شهرة أو مجد ، أو مباهاة ، أو تسلُّط ، أو شعور باللذة ، أو جلب منفعة مادية عاجلة ، أو بعيدة المنال ؛ لأن الخير يجب أن يُراد به وجه الله تعالي . (51) وهنا يتساءل دراز هل الأخلاق القرآنية أخلاق دينية ؟ يرى دراز أن الأخلاق القرآنية ليست أخلاق دينية لأسباب عديدة منها أنها لا تقتصر على تنظيم العلاقة بين العبد وربه ، بل تتجاوز ذلك إلى تنظيم العلاقات بين البشر عموماً كما أن رقابتها وجزائها لا يقتصر على السماء فحسب ، بل خولت هذه الصلاحيات لقوتين مؤثرتين الضمير الأخلاقي والسلطة الشرعية ، بل كل فرد في الأمة منوط به الحيلولة دون انتصار الظلم والرزيلة وهي ليست دينية ؛ لأن دافعها لا يقتصر على الخوف والرجاء ولأن تسويغها ليس محصوراً في الإرادة العليا التي تملي أوامرها على وجه الاستعلام ، بل هي أخلاق قامت على تسويغات عقلية وإنسانية سابقة على الدين وشارطة له . (52)

إنه الدين الذي " ينشد من الإنسان أن يكون هواه تبعاً لما جاء به ، بمعني أن يكون راضياً غير مُكرَه وهو يطيع الله عز وجل ، ولكن لابد من رعاية النية للواجب المفروض من قِبَل الله ، حتى يكون الخير طاعة يثاب عليها الإنسان . وسر الإعجاز في القرآن الكريم ، أنه يجمع بين هذين الأمرين ، دون أدني صدمة تحس بها الإرادة الحرة في الإنسان . هذان الأمران هما : الأمر الأول : التكليف من الخارج . الأمر الثاني : الرغبة ، والحب ، والرضا بهذا التكليف . " (53) لذا فإنه " يقوم علي أسس سليمة متينة ، لا تَضعُف ولا تتزعزع ، فهو تشريع مرن يتطور بتطور الحياة ، ويتجاوب مع مصالح الناس وحاجاتهم ، دون أن يَفرِض عليهم عنتاً أو حرَجاً . " (54) بل إن الأديان كلها بما تتضمنه من : معتقدات ، ومبادئ ، وأوامر ، ونواهٍ ، وقيم ، ومثل عليا ، أو قواعد عامة للسلوك ، تلعب – بالتأكيد – دوراً هاماً في حياة الإنسان ، فهي مصدر أساسي من مصادر الإلزام الخلقي . " لذا ارتبط الدين بالأخلاق ، علي الرغم من استخدام الدين نفسه بمعانٍ مختلفة . " (55) ويظل الدين الإسلامي " المثل الأعلى الذي يتطلع إليه المجتمع القائم علي التخلص من آفات واقعه ، في ظل مبدأ أسمي قد لا يكون علي وعي كامل به ، يكفل للآخرين حرياتهم ، ويرعي حقوقهم ، ويقر احترام الواجب . " (56)

إن الإلزام الخلقي في الإسلام لم يقم على الحَدْس ، أو الضمير ، أو العقل ، ولم يقم كذلك على السمع ، أو الأمر الإلهي وحده ، كما أنه لم يقم اعتمادا على سلطان اللذة أو المنفعة ، لذلك فقد اعتمد على أكثر من عنصر من هذه العناصر ، التي تُعتبَر مصدراً للإلزام في الفلسفة الأخلاقية ، مكونة معاً نسيجاً واحداً يكون مصدر الإلزام بالواجب الخلقي في الإسلام . "(57) وأعظم هذه المصادر هو المصدر الإلهي ، الذي به تكتمل باقي المصادر وتفتقر إليه . والذي ينظم السلوك دون التعارض مع الآخرين . (58) فجميع المذاهب والاتجاهات التي تناولت مصدر الإلزام الخلقي – غير مستعينة بهذا التوجيه الإلهي – ليست إلاّ مجرد اجتهادات من أصحابها . غير أن هذا التوجيه الإلهي لا يعني إسناده إلي قوة غاشمة ، أو سلطة متجبرة ، بل يعنى إرجاعه إلي : مصدر العلم الشامل ، والخير المطلق . وإذا كان الحق جل جلاله يقول : ﴿ نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم ﴾. (59) فإنه لا يقف عند حد منع الظلم فقط ، بل يتعدى ذلك إلي الرحمة العامة . فيقول الحق سبحانه وتعالي : ﴿ هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴾ (60)

أ – الإلزام الخلقي بوازع العقل بين الوحي الإلهي والتنظير الفلسفي .

الإلزام الخلقي بوازع العقل ركن أساسي تنبني عليه الأنظمة الأخلاقية في المجتمعات البشرية ، فلابد أن : " يستند أي مذهب أخلاقي جدير بهذا الاسم على فكرة الإلزام فهو القاعدة الأساسية ، والمدار ، والعنصر الحيوي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي ، الذي يؤدي فقده إلى سَحقِ جوهرِ الحكمة العملية ذاته ، وفناء ماهيتها ، ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسئولية ، وإذا عدمت المسئولية ، فلا يمكن أن تعود العدالة ، وحينئذ تتفشي الفوضى ويفسد النظام ، وتعم الهمجية ، لا في مجال الواقع فحسب ، بل في مجال القانون أيضاً . " (61)

" لقد ارتقي الإسلام بالعقل ، وسجل أن إهماله في الدنيا ، سيكون سبباً في عذاب الآخرة . " (62) يقول الحق سبحانه وتعالي : ﴿ عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح ﴾ (63) ويعدُّ الإسلام التفكير مقصداً من مقاصد الشريعة ، والمتأمل في الآيات القرآنية التي تحتوي علي عبارات التفكر ، والتذكر ، والعقل ، والتدبر ، قد يجد جهداً في حصرها . " فلا تأتي الإشارة إلي العقل في القرآن الكريم إلا في مقام التعظيم ، والتنبيه إلي وجوب العمل به ، والرجوع إليه . " (64) فالمتأمل في الوحي القرآني الكريم ، يلاحظ حرصه على تربية العقل ، وتنمية قدراته ؛

حتى يحسن القيام بما أناطه الله (65) – سبحانه وتعالي – به من وظائف " فبالعقل يعي الإنسان ما يعي ، وتتكون تصوراته الخاصة للأمور . " (66) يقول الحق جل جلالـــــه :ﱡﱠ ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كيَّ (67) وأولوا الألباب هنا هم " الذي يفتحون بصائرهم للنظر ، والاستدلال ، والاعتبار ولا ينظرون إليها نظرة الغافلين عما فيها من عجائب الفطرة ، وكل خطاب في القرآن الكريم إلي ذوي الألباب ، إنما هو خطاب لأناس ، لهم نصيب من الفهم والوعي ، أوفر من العقل ، الذي يكف صاحبه عن السوء ، ولا يرتقي إلي منزلة الرسوخ في العلم ، والتمييز بين الطيب والخبيث ، وبين الحسن والأحسن . " (68)

يقول محمد عبد الله دراز تأكيداً علي قيمة العقل كأحد أهم مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية : " فبدلا من أن نقول العقل المحض يجب أن نقول العقل العلوي وبدلا من الاستناد إلى تجريد تصوري ذهني يجب أن نلجأ إلى ذالكم الواقع الحسي الحي ، الذي هو العقل الإلهي ، فنور الوحي وحده هو الذي يمكن أن يحل محل النور الفطري ، ذلك هو الشرع الإلهي الإيجابي الذي يجب أن يستمر ويكمل الشرع الأخلاقي الفطري . " (69) ثم يتابع فيقول : " وفي القرآن يسير العقل والنقل معاً جنباً إلى جنب ، وهو ما يفهم من قوله تعالى :ﱡﱠ عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كحَّ (70) وفي قلب المؤمن يستقر نوران على حين لا يجد الملحد سوى نور واحد (71) وهذا هو معنى رمز النور المزدوج في قوله تعالى :ﱡﱠ غم فج فحفخ فم قح قم كج كحكخ كا كم لج لحلخ لم لهمج مح مخَّ (72) والدين الإسلامي كما يربي الإنسان على إعمال عقولهم ؛ للتوصل للحقائق الإيمانية ، فهو يربيهم – كذلك – على محاربة كل ما هو تقليد ، وجمود على فكر الآباء والأجداد . فلا ينبغي للإنسان أن يبني عقيدته ويكتسبها من التقليد ، فالعقل منحة من الله ، يشترك فيها الأولون والآخرون ؛ فالكل متساوٍ في حرية التفكير والاختيار ، ولكي تكون الفكرة ضاربة الجذور والأعماق يجب أن تكون نابعة عن قناعة عقلية ذاتية ، إذ إن من أولويات المنهج العقلي ، أن يطلب من الناس الإيمان بالله ، على أساس هذه القناعة الذاتية ، من خلال ما يقدمه لهم مع الوحي ، من أدلة وبراهين على الحق في دعوته ، معتبراً أن ذلك هو السبيل الصحيح للعقيدة الحقة ، رافضاً التقليد في العقيدة ، سواء في ذلك ، عقيدته أم عقيدة الآخرين ؛ لأن التقليد ابتعاد عن الخط السليم للتفكير . (73)

يقول محمد عبد الله دراز : " إن القرآن الكريم يقف دائماً أمام عدوين للأخلاق اتباع الهوى دون تفكير كما في قوله تعالي : ﴿ئۆ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي﴾ (74) والانقياد الأعمى كما في قوله تعالي : ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ (75) فهل يقدم الذين يريدون السير علي سنة أسلافهم ، علي الانقياد لهم دون تمييز حتى ولو ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ (76) (77)

ولم تقتصر الدعوة في القرآن الكريم لإعمال العقل على الجوانب المادية فقط ، بل تجاوزت ذلك إلى الجوانب المعنوية ؛ حتى يشعر الإنسان بمدى التكريم والتشريف ، الذي حظي به من خلال آيات الله المكنونة في نفسه وكيانه ، ومن الآيات الدّالة على إعمال العقل في الجوانب المعنوية للإنسان ، ما يحدث للإنسان أثناء منامه ، يقول الحق جل جلاله : ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ (78) ومن الآيات الباعثة على التفكر ، وفسح المجال فيه للمعنويات ، ما ضرَبَه الله – تعالى – من الأمثلة في القرآن الكريم ، الدّالة على حكمة يريدها الله من الخلق ، ومنها قوله سبحانه وتعالي : ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ (79).

" لقد تعامل القرآن الكريم مع خامةٍ لم تكن قد حظيت من المعرفة إلا بالقسط اليسير .. مع جيل من الناس لم يبعد – بعد – عن تقاليد الجاهلية ، وقيمها ، ... لكنه قدر بقوة الإيمان المعجون بالدعوة الجديدة ، علي أن يعلمهم فعلاً ... وذلك بأن يعيد تشكيل عقولهم ؛ لكي تكون قادرة علي استيعاب المضامين الجديدة ، مدركة للأبعاد الشاسعة التي جاء هذا الدين لكي يتحرك الإنسان صوب آفاقها الرحبة . وما كان ذلك ليتحقق لولا إشعال فتيلة التشوق المعرفي للمسلم ، ودفعه إلي البحث والتساؤل والجدل . " (80)

" وبالعقل – وحده – استحق الإنسان الخلافة في الأرض ، وحمل الأمانة – أمانة التكاليف الشرعية – التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها . " (81) قال الله جل جلاله : ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ (82) " ولما كان

الإنسان متميزاً عن غيره من المخلوقات بما كرمه الله من العقل والفهم .﴿ٱقى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني﴾ (83) فقد اقتضت حكمة الله – عز وجل – أن يكون مكلفاً بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، دون غيره من المخلوقات " (84) " لأن العقل شرط التكليف " (85) يقول الدكتور عبد الكريم عثمان : " إن المكلف إذا صار عاقلاً ، واجتمعت فيه شروط التكليف ، فلابد من أن يكلَّف " (86) لذا " يدعو الإسلام إلي المحافظة علي العقل ، ويحاسب كل من يؤذيه ، أو يضعف من قوته ، أو يعطل الملكات الذهنية له . " (87) يقول محمد عبد الله دراز : إذا كان العقل مبدع القانون فإنه سوف يصبح السيد المطلق فيبقى عليه أو يبطله تبعا لمشيئته فإذا لم يستطع ذلك فلأنه قانون سبق في وضعه وجود العقل وأن صانع العقل قد طبعه فيه كفكرة فطرية لا يمكن الفكاك منها وحينئذ يكون معنى أن يستنصح المرء عقله أنه يقرأ في كتابة فطرته النقية والإنسانية بصفة نوعية ما سبق أن فطرها الله عليه وبعبارة أخرى عندما يرجع أشد الناس إلحادا إلي سلطة العقل فإنه لا يفعل في الواقع سوى الإنصات إلى ذلكم الصوت الإلهي الذي يتكلم في داخل كل منا دون أن يذكر اسمه وإذا كان النوران الفطري والوحي ينبثقان من مصدر واحد فحسب فيجب أن نخرج أخيراً بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يرشدنا دائماً إلى واجبنا ما ظهر منه وما بطن . " (88)

لقد علمنا القرآن الكريم أن النفس الإنسانية ، قد تلقت في تكوينها الأولي الإحساس بالخير والشر :﴿ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى﴾ (89) وكما زود الإنسان بملكة اللغة والحواس الظاهرة ، فإنه ز ود أيضًا ببصيرة أخلاقية (90) قال تعالى :﴿ٱغم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ﴾ (91) ولقد هدى الله الإنسان طريقي الفضيلة والرذيلة ، قال تعالى :﴿ٱيم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح﴾ (92) وبذلك يكون الإنسان قادراً على أن يحكم أهواءه ، وإذا لم يكن كل الناس يمارسون هذا التأثير على أنفسهم فإن منهم من يفعله بتوفيق الله له ، وهو ما قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : " إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له واعظًا من نفسه يأمره وينهاه . " (93) إن تلك السلطة الخاصة التي تدعي السيطرة على قدراتنا الدنيا ، تلك السلطة التي هي الجانب المضيء في النفس ، تكمن في التركيةضز على العقل البشري . (94) وتقدير الله تعالى لقيمة هذا العقل الذي يمكنه أن يدرك أن أوامر الله وتعاليمه هي لصالح الإنسان حتمًا، فيتقبلها موقناً بها ، وهو ما يفسر اختتام بعض الآيات القرآنية بأمور

تذكر بقدرة العقل البشري وإدراكاته ، وتعول عليه ، من مثل قوله تعالى :﴿أفمقد قم كجكح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ﴾ (95) وقولـه تعـالي :﴿كل كم كى كي لم لى لي ما﴾ (96) وقوله تعالي :﴿تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح﴾ (97) فمن يستطيع التفكير والتعقل والتذكر ، حتماً سيصل إلى التزامه أوامر الله وتجنب نواهيه ، وبذلك ينتقل من مرحلة التفكر إلى مرحلة الهداية ، وهي أسمى صور امتثال أوامر الله﴿ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ﴾ (98)

الأمر الذي أنتهجه محمد عبد الله دراز بقوله : " إن القرآن الكريم لم يقتصر على الملكات العقلية وحدها بل والضمير فلقد عني في الوقت نفسه عناية كبيرة بإيقاظ أشرف مشاعرنا وأزكاها بيد أنه لم يحرك هذه المشاعر إلا تحت رقابة عقلنا فهو يتوجه إلينا دائما يعني يتوجه إلى ذلك الجانب المضيء من أنفسنا إلى ملكتنا القادرة على أن تفهم وأن تقدر في كل شيء ما يضر وما ينفع وأن تقوم القيم المختلفة . " (99)

هكذا جاء أسلوب الدكتور دراز عقلي رصين ، فهذا يرتكز على الأسلوب الأدبي بالغا الذروة فيه ، وذاك يسوق البراهين العقلية ، سالكاً طريق التدرج حتى ينتفع به العامة والخاصة ، لا سيما أنه عايش أرباب هذه الإدعاءات وذلك خلال دراسته في جامعة(السربون) فخبر أساليبهم وسبر أغوارها فاستطاع بذلك أن يسوق لنا هذه البراهين الواضحة في سلاسة ويسر . (100)

ب – الإلزام الخلقي بوازع الضمير بين الوحي الإلهي والتنظير الفلسفي .

شغلت فكرة الضمير " العديد من الباحثين في مجالات متعددة ، ومن هذه المجالات المجال الأخلاقي . وعلي الرغم من الغموض الذي أحاط بفكرة الضمير الأخلاقي ، فقد حاول بعض الباحثين في الأخلاق تحديده كأساس لا غني عنه ، إنْ تصريحاً أو تلميحاً ، خالصاً ، أو مختلطاً بغيره من المفاهيم ." (101) حتى يمكن القول : إنه لا أخلاق بلا ضمير ، وبلا حرية . كما حاولوا العودة بالضمير . إلي نشأة علم الأخلاق ، فصوروه لدي سقراط مختلطاً بصوت الإله تارة ومختلطاً بصوت العقل تارة أخري . ومع أن سقراط لم يقل صراحة بما نسميه اليوم بالضمير ، إلا أنهم يدَّعون عليه هذا القول ، فيقولون : ماذا يعني سقراط بصوت الإله ، إلا ما نسميه

اليوم بالضمير ؟ وذلك من خلال تأملهم لاعترافه ، بأنه لم يكن يتخذ في أمور حياته رأياً حاسماً قاطعاً ، إلا بعد الرجوع إلي نفسه ، والإصغاء إلي هذا الصوت الداخلي (102) صوت الإله في نفسه . (103) ويعد من أهم العوامل المؤثرة في تنفيذ الإلزام الخلقي في الفكر الإسلامي ؛ لأن بعض الناس لا يكفيهم وازع العقل ، ولكنهم يحتاجون إلي وازع الضمير ، كزاجر يبعدهم عن الذنوب . (104) " مع تحفظ واحد ، هو ألا يزيغ هذا الضمير عن الهدى الذي يقدم إليه ، بل يحاول أن يبحث عنه عند الحاجة ، والله سبحانه وتعالي يقول : ﴿ يخ يم يه يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴾ (105) يقول دراز : " فليس يكفي إذن في نظرنا أن يحمل القانون إلى عامة الناس عامة ؟ وأن أكون بحيث استقبله بل ينبغي أن نضيف ضرورة إبلاغه إلي علمي أنا نفسي سواء أكان ذلك بواسطة التربية ، أم الصدفة ، أم كان بطلبي إياه في سعيي وبحثي ؟ !! وقد رأينا – في الواقع– كيف أن القرآن حرص على أن يثبت ، على سبيل الحقيقة التاريخية – إن لم يكن على سبيل القانون الثابت – أن التعليم الإلهي الذي خُوطبت به الشعوب القديمة كان يصل دائمًا إلى المعنيين به ، قبل أن يلزموا بمسئوليتهم . هذه الحقيقة نفسها يجب أن تنطبق على التعليم القرآني، وإنها لكذلك . (106)

وتبدو أهمية الضمير كعامل لتنفيذ الإلزام الخلقي ، في أنه ينبع أساساً من وجدان الإنسان وفطرته ، وبالتالي فإن ذلك يكون دافعاً قوياً إلي الالتزام بالسلوك الأخلاقي ، والابتعاد عن السلوك غير الأخلاقي . (107) فالضمير ركيزة حية ، يعطي صاحبه إشارة التوجيه للإقدام علي الفعل ، أو الإحجام عنه ، وهذا لا يكون إلا في ذوي النفوس السليمة ، والفطرة النقية ، وهؤلاء هم النماذج الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله :﴿ ٱّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به ﴾ . (108) أولئك فئة من البشر طُبِعوا علي معرفة الحق ، وحب الأعمال الخيِّرة ، وصارت تلك عادة لهم ؛ لأن هذه

المعاني قد نُقِشت في نفوسهم . (109) " وقد ارتبط الشعور بالندم بالضمير ، فلا يُصدر الضمير حكماً علي الفعل فحسب ، بل هو يؤنب الإنسان ، ويجعله يشعر بالندم ، وهو بذلك يجعله يتحاشى الوقوع في الخطأ ، غير أن هذا لا يمنع الضمير من التعبير عن ارتياحه للأفعال الأخلاقية ، ومن ثم يبث في الإنسان الشعور بالسعادة . " (110)

" إن الإسلام لا يعتد بضمير من دون دين كما لا يعتد بخلق من دون دين فالتدين وما ينشأ عنه من مراقبة دائمة وخشيه لله هو الدعامة الأساسية التي يقوم عليها الضمير الأخلاقي في الإسلام فالإنسان لابد له من رقيب أقوى من الضمير وسلطانا أقوى من العقل فالضمير ليس له قوة فطرية معصومة بطبيعتها بل الضمير متأرجح متقلب لا يستقر له قرار كما أنه يتكون ويتشكل بحسب ما يتغذى عليه من ثقافة وبيئة وتربية تختلف لدى الفرد الواحد حسب اختلاف الروافد التي تمده بالثقافة العقلية والتهذيب الروحي وبحسب أخلاق وقيم من يخاطبهم ولن يكون الضمير حيا إلا إذا كان موصولاً بأمر الله وكانت رقابته هي رقابه الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية والتي يستحيل خداعها أو الاستخفاء منها . " (111)

يقول محمد عبد الله دراز : " إن سلطة الواجب تكون مفروضة على الضمير ، لا على الجوارح ، وبذلك فإن قانون الواجب ليس جسداً ميتاً أو أمراً دنيوياً ليست له قيمة أخلاقية ، بل هو قانون حرية وعقل ، وذو طابع روحي في جوهره . " (112) " ومن الناحية الأخلاقية لا يمكن أن ندخل في باب الأخلاق ، أي عمل إذا لم يكن شعورياً وإرادياً ، وانعقدت عليه النية في آن واحد ، فالقرآن يتطلب منا الشعور النفسي ، والضمير الأخلاقي ، أي رضا القلب وتلقائية الفعل ، والهمة التي يؤدي بها الواجب ، تلكم هي الصفات التي تجعل أعمالنا مقبولة عند الله . وهذا هو السبب فيما أعلنه القرآن في أن أولئك الذين يقدمون بعض الصدقات ، أو بعض شعائر التقوى ، كسالى مرغمين ، لن تقبل أعمالهم عند الله أبداً . (113)

إن القانون الوضعي لا يستطيع ابداً أن يعمل وحده ما لم يكن له رصيد من الأخلاق والدافع الذاتي ولن يستطيع القانون مهما زادت مواده أن يسد الثغرات ما دامت النفوس مريضة والضمير معطلا والإسلام يبني الأمة المسلمة على الضمير جنبا إلى جنب مع التشريع فيتم تشكيل السلوك الاجتماعي من أعماق النفس وينبع من صوت الضمير وذلك في جميع الجوانب الإنسانية والاجتماعية .... الخ وغيرها . (114) " فالأصل الأخلاقي ليس قواعد عقلية ينفرد العقل بتقديرها ابتداء من عند

نفسه لأن القواعد العقلية مهما بلغت من القوة والسيطرة لا تستطيع أن تقوم بهذا العيب وهذا السبب هو أن الأمر كله متعلق بالإنسان نفسه فكل إنسان صندوق مغلق فيه من الطبائع والغرائز والأهواء المتنازعة بين الخير والشر وفيه أيضاً من القوة والضعف مقادير مختلفة لا تكاد تضبط أحوالها وآثارها ومن ثم فالضابط لابد أن يكون كاملا في سريرة نفسه مسيطرا عليه سيطرة مستمرة لا ينالها الوهن وفيه قوة شاملة قادرة على أن تمسك ويكون أيضاً رقيبا يقظا ملازماً لا يغفل يكبح المرء عند كل منعرج ينعرج به إلى طريق الجور في كل خطوة يخطوها وينبهه ويوقظه عند كل التفاتة تصرف وجهه عن سلوك الطريق المستقيم . " (115)

وهكذا كانت مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز بين الوحي الإلهي الصافي والتنظير الفلسفي الراقي ، قائمة علي قيم الإسلام بمنهجه الصحيح الوسطي المتسامح نظرياً وعملياً معرباً أن " رسالة الإسلام حين بسطت جناحيها في أقل من قرن علي نصف المعمور ، كانت كأنما أنشأته خلقا آخر.. لقد بدلته من أوطانه المتفرقة وطناً واحداً ، ومن قوانينه المختلفة قانوناً واحداً ، ومن آلهته المتعددة إلها واحداً.. لقد نفذت إلي جوهر نفسه فحولته تحويلا وبدلت أسلوب تفكيره تبديلاً ، بل عمدت إلي لغته فأضافت لغة القرآن لساناً إلي جانب لسانه ، وكثيراً ما أنسته لسانه الأصيل ، وجعلت لسان الإسلام هو لسانه الوحيد ، ثم هي لا تزال في كل عصر ، تتلقي معاول الهدم من أعدائها فتكسر هذه الصدمات على صخرتها ، وهي قائمة تتحدي الدهر ، وتنتقل من نصر إلى نصر.. فليحاول الباحثون ما شاءوا أن يعرفوا مصدر هذه القوة الغلابة ، وهذا الانتصار الباهر. إن هذا النجاح ، ليس مرده في نظرنا إلي سبب واحد من الأسباب ، ولا إلي فضيلة واحدة من الفضائل ..لقد تضافرت عليه شخصية الداعي ، ومنهاج دعوته ، وشخصية الأمة التي تلقت تلك الدعوة ، وطبيعة الدعوة نفسها ، ومن وراء ذلك كله كلاءة الله ورعايته لهذه الرسالة حتى بلغت كمالها أما صاحب الرسالة وما أدراك من صاحب الرسالة ، فحسبك منه أنه عليه الصلاة والسلام ، جمع خلالاً كل واحدة منها كانت عنصراً فعالاً في هذا النجاح ، خلالاً نعد منها ولا نعدها ، ونرسم شيئاً من جوانبها ولا نحدها . " (116) يقول دراز " صبر ومصابرة ، وجد ومثابرة ، وحرص علي بلوغ الغاية ، والتزام لأدق حدود الصدق في الوسيلة وفي الغاية ، تلطف في الدعوة وقصد في الحجة ، وتعليم بالأسوة والقدوة ، وتأديب باللمحة والنظرة ، وطهر في السيرة والسريرة ، لا حقد ولا ضغينة ، ولا ختل ولا مواربة ، سخاء بما في اليد ، وزهد فيما بيد الناس ، تضحية بحظوظ نفسه وتنازل عن حقوق شخصه ، أما في تبليغ

الرسالة وإقامة العدالة ، فعزيمة متوفرة لا تني ، وصلابة في الحق لا تنثني . هذه الخلال الفُضلي ، وأمثالها وأمثال أمثالها تنبع في نفس الرسول الكريم من ينبوع ذي ثلاث شعب : الإيمان ، والحب ، والأمل .. إيمان بقدسية الرسالة وضرورة حملها ، وحب للإنسانية ، واهتمام بإنقاذها ، وأمل في نجاح الدعوة وبلوغها أقصي غايتها . " (117)

2- المسئولية .

تعد المسئولية من مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية كما تعد عنصر جدّ مهم في النظرية الأخلاقية ، فهي ترتبط بشكل وثيق بفكرة الإلزام وفكرة الجزاء " والوقع أن هذه الأفكار الثلاثة ... لا تقبل الانفصام ، فإذا ما وجدت الأولى تتابعت الأخريان على إثرها ، وإذا اختفت ذهبتا على الفور في أعقابها . فالإلزام بلا مسئولية يعني القول بوجود إلزام بلا فرد ملزَم ، وليس بأقل استحالة من ذلك أن نفترض كائناً ملزماً ومسئولاً بدون أن تجد هذه الصفات ترجمتها وتحققها في جزاء مناسب ، فإن معنى ذلك تعرية الكلمات من معانيها . " (118) بحيث لا يمكن تصور الإلزام الخلقي بدون مسئولية أو جزاء ؛ لأنها جميعها تتضامن وتتتابع وجوداً وعدماً . (119) إذ لو أصبح الإلزام خالياً من المسئولية ، لأصبح معنيً صورياً بدون شخص مُلزَم بأحكامه الخلقية كما أنه لا يوجد كائن أياً كان مُلزماً ومسئولاً بدون أن يوقَّع عليه جزاء مناسب ، وإلاّ أمست القضية فارغة لا معني لها . فالواقع يشهد بأن الإلزام الخلقي يستتبع المسئولية الأخلاقية ، ثم يأتي بعدها الجزاء .

لقد ركز القرآن الكريم على إذكاء روح المسئولية عند الإنسان عن طريق إقناعه بدوره الفعال في اختيار عمله وإرشاده إلى أن هذا الدور جزء لا يتجزأ من تكوينه وفطرته وأن هذه الحرية التي وهبت له مستلزماتها من الإمكانات والقدرات أمر واقعي لا سبيل إلى المراء فيه بل وأن إنكارها جحود لواحدة من أعظم نعم الله على خلقه دون مسوغ بهذا الجحود فضلاً عن أنه لن يجدي شيئا أولئك الذين ينتقصون من آلاء الله ونعمائه عليهم رغبة منهم في التخلي عن المسئوليات والأمانات التي حملوها . فالإسلام يختلف في نظرته إلى المسئولية عن كثير من المذاهب الأخلاقية وعن نظرة القوانين الوضعية ذلك أن نظرة هذه المذاهب والقوانين لا تجعل مجال الإرادة الداخلية ما لم تنفذ في العمل الخارجي مجال المسئولية إطلاقاً كما تختلف عن نظرة بعض الأديان السابقة على الإسلام التي كانت تعتبر الإنسان مسئولاً عما تتحدث به نفسه ، (120) كما يفهم ذلك من قوله تعالي : ﴿ٱغج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخكل كم لج لح لخ لم له مج محمخ مم نج نح نخ نم نه هج

هم هٰ يج يح يخ يمَّ (121) وقد حدد القرآن الكريم المسئولية حيث قال الله تعالي :ٱٱفج فح فخ فم قح قم كجكح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج محَّ (122) والإنسان العاقل يُعتبَر مسئولاً . والعقل والمسئولية طرفان متصلان لا ينفصلان . إذا انتفي أحدهما انتفي الآخر . فلا مسئولية علي غير العاقل ، وكذلك لا عاقل بدون مسئولية . (123) بل إنه محاسَب علي نعم الله تعالي عليه . يقول الحق سبحانه وتعالي :ٱُصح صخ صم ضج ضح ضخَّ (124)

وهو ما أكده محمد عبد الله دراز فيقول : " إن كل مسئولية هي مسئولية أخلاقية ، متي ارتضيناها ، فالمسئولية التي يُحَمِّلُنا إياها غيرُنا ، تصبح بمجرد قبولنا لها مَطلَباً صادراً عن شخصنا . وإذن فليس من المستغرَب أن نري القرآن الكريم يقدم لنا المسئولية الدينية ذاتها ، في صورة مسئولية أخلاقية محضة ، حين يقول في سياق بعض التعاليم المتعلِّقة بالصوم المفروض ، وقد تحايل بعض الناس علي التخلص منه سراً متعللين زوراً وبهتاناً (125) بقوله سبحانه وتعالي :ٱُلخ لم لى لي مج مح مخمم مى مي نج نح نخ نم ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ ُّ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نرَّ (126) وفي كثير من الأحيان لا يكتفي القرآن الكريم ، حين يستحث المؤمنين إلي الطاعة ، بأن يذكِّرهم بالأمر الإلهي ، بل يذكِّرهم في الوقت نفسه ، بالعهد الذي قطعوه علي أنفسهم بأن يطيعوا هذا الأمر . (127) يقول الله سبحانه وتعالي :ٱٱكم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج َّ (128)

أ- أنواع المسئولية .

وتنقسم المسئولية إلي ثلاثة أنواع : المسئولية الدينية : وهى التزام المرء بأوامر الله ونواهيه ، وقَبوله في حال المخالفة لعقوبتها . ومصدرُها الدِّين . والمسئولية المدنية : وتتعلق بالأفعال الظاهرة سواء ما تم منها ، أو ما هو بسبيل الحدوث . وتتحدد هذه المسئولية وفقاً للقوانين الوضعية الإنسانية ، لا وفقاً للقانون الأخلاقي ؛ وإن اشتركا في بعض الأمور . ولهذا فإن كثيراً من الأفعال المحرّم ارتكابها بحسب القانون الأخلاقي ، لا تندرج تحت طائلة المسئولية القانونية ، والعكس صحيح . (129) وأخيراً المسئولية الأخلاقية : وتتعلق بالأفعال التي يكون المرء فيها مسئولاً أمام ضميره ، وأمام الله – عز وجل – وتندرج فيها النوايا ، أي الأفعال الباطنية . " ورغم تعدد

أنواع المسئولية تبعاً لمصدر الإلزام فيها ، فإن تلك المسئولية تصبح أخلاقية ، بمجرد قبولنا الوفاء بها ، فهذا القبول ينقل الإلزام من مصدره الخارجي ، إلي إلزام داخلي شخصي . يكون بمثابة عهد منا بالوفاء به . والوفاء بالعهد واجب أخلاقي ، يستكمل بشكل كامل عناصر الفعل الأخلاقي ، وهذا هو ما نبهتْ إليه الآية الكريمة في قوله تعـــالي :﴿ بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جحجم حج مم مخجخ مم سج سح سخ سم ﴾ (130) ولكن لا يُفهَم من ذلك أن يكون موضوع المسئولية عاماً ... بل لا بد أن يكون متعلقاً بالحق والخير. " (131)

يقول محمد عبد الله دراز : " من الممكن أن يخضع المرء لتكليف : يلُزِم به نفسه . أو يتلقاه عن أُنَاس آخرين . أو عن سلطة أعلي منه . ففي الحالة الأولي : تأتينا المسئولية من داخلنا ، فالمرء يجعل من نفسه مسئولاً عن عمل لم يكلفه به أحد . أما في الحالتين الأخريين : فنحن نتلقى المسئولية من خارجنا . ولكن سواء أكان المرء مسئولاً أمام نفسه ، أم أمام الناس ، أم أمام الله – سبحانه وتعالي – فإن حُكْم المسئولية دائماً يكون بواسطة نفس السُّلطة . التي أصدرت الأمر أولاً . " (132)

" إن الشعور بالمسئولية والقيام برعايتها ، يؤكد تضافر الجهود في بناء عزة المجتمع المسلم وقوَّته ، ويحقق سؤدده ومجده . ولذلك يحق لكل مسلم مؤمن بالله – عز وجل – حقاً وصدقاً ، ويوقن بسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم نبياً ورسولا ، ويؤمن بالإسلام ديناً وعقيدة ، أن يوقظ في نفسه وفيمن حوله إحساس الشعور بالمسئولية . فإن ذلك أنجح وأصلح وسائل التربية السليمة ، وبها يتحقق بناء الإنسان وإصلاح شأنه ، وتثبيت مكانته في الحياة الدنيا . وبدون ذلك لا يستطيع الإنسان أن يحقق المعني الحقيقي لخلافته لله – عز وجل – علي هذه الأرض ؛ ليبث الخير ، ويحقق الصلاح ، ويثَبِّت الحق . " (133)

وفي موضع آخر يشرح محمد عبد الله دراز أنه في سبيل تحقيق أخلاق كأخلاق القرآن يجب أن تنتهي كل مسئولية إلى نوع من المسئولية الدينية أو على الأقل تتبعها ، هذه الأخلاق ترى، في الواقع ، أنه لا الالتزامات الفردية ، ولا المؤسسات الاجتماعية ، قادرة على أن تكون مصادر للتكليف والمسئولية ، إلا بواسطة نوع من تفويض السلطة الإلهية ، فالمسئولية التي توجدها مبادرتنا الفردية ، قد أعطاها الإسلام حيزاً واسعاً، وأدمجها في مجالات كثيرة بالمسئولية التي أقرتها قواعد الشرع المنزل . (134)

لقد تميزت المسئولية في الإسلام بالشمول والعموم " فكل إنسان توافرت فيه شروط المسئولية والتكليف ، فهو ملزَم برعاية أوامر الله عز وجل ، واجتناب نواهيه .

وهذا ما قرره القرآن الكريم ، وأكده في جميع آياته البينات . وبالأخص إذا توجهنا إلي الآيات القرآنية الصريحة في ذكر المسئولية . كما في قوله سبحانه وتعالي : ﴿ **مح مخ مم مى مي نج نح نخ** ﴾ (135) فهذا تأكيد بالقَسَم ، وبإتْيَان اللفظ الدال علي التأكيد أجمعين من أن الله – عز وجل – سوف يسأل العباد كلهم . (136) ويقول جل جلاله ﴿ **ثن ثى ثي فى في قى قي** ﴾. (137) فهذا قَسَم وتأكيد – أيضاً – من الله – عز وجل – بأنه سوف يسأل الأمم جميعاً ، الذين بلَغَتهم دعوة الرسل والأنبياء . كما يقول الحق سبحانه وتعالي : ﴿ **ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر** ﴾ (138) فقوله تعالي : كل نفس مما يدل علي عموم المسئولية لكل إنسان مكلَّف . وغير ذلك من آيات القرآن الكريم التي تقرر وتؤكد عموم المسئولية لكل إنسان ، مهما كان شأنه وأمره ومكانته ، وبعد أن عمم الله سبحانه وتعالي المسئولية علي كل أفراد الإنسان ، خصصها بقوله سبحانه وتعالي : ﴿ **ثن ثى ثي فى في قى قي** ﴾. (139)

ومن الجدير بالذكر أن محمد عبد الله دراز يؤكد علي: " أننا ينبغي أن نؤكد أولاً علي طابع الشمول في مبدأ المسئولية الذي بسطه القرآن الكريم علي جميع المخلوقات العاقل دون تفرقه بين عقل إنساني وعقل فوق إنساني بل دون أدنى تفرقة بين عامة الناس والصالحين منهم . " (140)

فالإسلام قرر أن يعامل الناس جميعاً علي قدم المساواة في شئون المسئولية والجزاء ، دون تفرقة بين رجل وامرأة ، غني وفقير ، فالعدالة الإسلامية لها ميزان واحد ، يطبَّق علي جميع الناس . (141) فلا غرو بعد ذلك أن يجعل الله – سبحانه وتعالي – المرأة مساوية للرجل في تحمل المسئولية بكل أبعادها ، مع تحمل نتائجها وعواقبها ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر . (142)

ب– شروط المسئولية .

أكد محمد عبد الله دراز علي أنه إذا كانت المسئولية الأخلاقية شاملة فهي مع ذلك ليست خالية من الشروط ويتساءل : ما هي شروط المسئولية الأخلاقية والدينية ؟ يجيب : يقدم القرآن الكريم هذه الشروط بتفاصيلها علي النحو التالي :

أما الشرط الأول الطابع الشخصي للمسئولية (143) فحيث ترتبط المسئولية الأخلاقية بالشخصية ارتباطاً وظيفياً فلا يطبقها إلا الإنسان العاقل البالغ ، ويعد دراز المبدأ القرآني للمسئولية مبدأ فردياً ، يستبعد كل مسئولية جماعية ، أو موروثة فمن عدل الله المطلق أن جعل الثواب والعقاب لا تحويل فيهما أو امتداد أو اشتراك .

وأما الشرط الثاني الأساس القانوني (144) المستمد من العلم المسبق للأحكام فهناك قوانين أخلاقية تسري على الإنسان ويتضمنها التشريع المنبثق من القرآن الكريم ومهمة الإنسان فيها الوفاء بالشق الأخلاقي من المشيئة الإلهية استجابة للأمر التكليفي ، لأن ذلك محل السعي الإنساني ، ويرى دراز أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يقر شريعة الواجب بما تستتبعه من مسئولية وجزاء ، من دون أن يزود الإنسان بالمعارف والوسائل الضرورية لأداء عمله ، فقد اوجب الله على نفسه أن يعلم الناس قبل أن يحملهم مسئولياتهم وذلك ؛ لأنه يرى أنه من الظلم محاسبتهم قبل إعلامهم ، ويأتي هذا الإعلان من طريقين مختلفين داخلي مسجل في أنفسنا ، وخارجي نستمده من النص القرآني الكريم .

وأما الشرط الثالث الإرادة العاقلة (145) فهي أثمن جزء في وجودنا نتميز بها من الكائنات الدنيا ، فهي الملكة التي تجعلنا نركز داخل ذواتنا ، وتحمل المبدأ المنظم لأفعالنا ، فهى التى نتميز بها ، على حين أن ما تبقى مشترك بيننا وبين الكائنات الدنيا . إنها الملكة القادرة على تركزنا فى ذواتنا ، على حين أن الحواس والغرائز تبعثرنا خارجها . وشتان مابين الرغبة الحارة فى أن نكون على الحق والاعتقاد التلقائى بأننا نسير فى طريقه في الواقع ، وما بين استخدام جميع الوسائل التي في قدرتنا لكي نصل إلى الحق . النية خير والعمل القائم على نية خير أرفع لأنه العمل الأخلاقي الكامل . فكرة وجود الله ذي الجلال في كل مكان . تلك الفكرة التي تملأ نفوسنا اهتماماً بالأخلاق وبالصرامة نحو أنفسنا . يصف لنا القرآن الكريم حالة نفس المؤمن ، فهى ليست يائسة من روح الله ولا هي آمنة من مكره وإنما هي دائماً في منتصف طريق بين الأمل والخوف ، أو بالأحرى تغذى كلا من الشعورين فى وقت واحد . هي حوار حي بين لطف وهمة وشجاعة وأمل ، وهو حوار يتعهد شعلتنا دون أن يحرقها ، ويرطب قلوبنا دون أن يسلبها حميتها فكل شيء متوازن ومتناسب .

ولها حق السيادة وقد تتبع دراز بناء الفكرة القرآنية عن المسئولية وعلاقتها بالإرادة العاقلة ، فواجد أن القرآن الكريم قد تولى جوهرياً وجهة النظر الأخلاقية التي تتفق مع المقتضيات المشروعة لأكثر الضمائر استنارة وتشبعاً بالعدل جاعلاً العمل الإرادي للإنسان العاقل بمنزلة الموضوع الدائم والوحيد للمسئولية ، وعد الإنسان كائناً أخلاقياً خلق ناقصاً ولكنه قابل للكمال في آن معا ، فهو بذرة تنطوي على جميع الكمالات بالقوة ، تنتظر خروج عمل إرادي يحول الكمالات فيه إلى واقع فعلي ، ويرى دراز أن علاقتنا بالشرع لا تنحصر في علاقة المعرفة ، وإنما تتعداها لتصبح علاقة

إرادة ، فما يهمنا في مجال المسئولية الأخلاقية وحركة الضمير النابعة من الإرادة العاقلة بوصفها لازمة للمسئولية لزوما مطلقاً ، فكل ضمير أخلاقي يحوي هذه العلاقة المزدوجة التي تربط المسئولية الأخلاقية بالنية أو القصدية والعمل الإرادي الذي انعقدت عليه النية ويستحق الثواب أو العقاب هو الذي يقع في مجال المسئولية لذا كان الشرط الثالث للمسئولية وهو العمل الذي تهدف فيه الإرادة لا إلى الصفات الطبيعية لموضوعه فحسب وإنما كذلك إلى صفاته الأخلاقية على نحو ما أدركها المشرع .

وأما الشرط الرابع طبيعة الإنسان التي تقوم على مبدأ الحرية (146) فتتحقق المسئولية بوجودها وتغيب بغيابها وتمتد بذور التناسب بين الحرية والمسئولية في عمق الضمير الإنساني ، فلا مسئولية من غير انفتاح الإنسان على مجالات الفعل المختلفة ، ومن غير تعزيز قدراته على الفعل وينبثق من الحرية مبدأ شديد الصلة به هو الاختيار الذي يعد من أهم المعالم التي يتأسس عليها الخطاب الشرعي ، إذ تتحدث المسئولية الأخلاقية وفق قدرة الإنسان على استخدام ملكات الطبيعية لتحقيق هدف يسعى إليه عن قصد فحين لا يستطيع الإنسان توجيه ملكاته لسبب خارج عن إرادته ينتفي الوسع وتسلب الحرية وتسقط المسئولية ، وينتفي الإثم فالأخلاق في الشرع لا تحمل معنى القهرية ، وتتحدث المسئولية الأخلاقية عند مقاومتنا كل أشكال الشر المحيطة لنا باختيارنا ، من دون إكراه عندما نتخذ قراراً بمقاومة كل إكراه للطبيعة سواء كان إكراها مادياً أم اجتماعياً أم نفسياً فكل دعوات الشر لن تحدث أدنى تأثير في نفوسنا إن لم يكن لإرادتنا فيها قبول .

ونستطيع أن نقول مما سبق أن محمد عبد الله دراز له فضل السبق في تأسيس أرضية قرآنية للمسئولية الأخلاقية من حيث التنظير ، لكن يظل توطين فكرة المسئولية الخُلقية في الممارسات الأخلاقية المرتبطة بالعديد من مجالات الحياة المعاصرة المتطورة كالطب والفن مثلاً ... في حاجة إلى المزيد من الاجتهاد والنظر .

3- الجزاء الأخلاقي .

يعد الجزاء الأخلاقي من مرتكزات التأصيل الإسلامي للنظرية الأخلاقية " وإذا كانت المسئولية هي نتيجة طبيعية لإلزام فإن الجزاء نتيجة طبيعيه لها والجزاء من حيث أنه أساس أخلاقي له أهمية الأسس الأخرى بل إن أهميته مزدوجة فهو مهم باعتباره دافعا إلى التمسك بالقيم الأخلاقية وهو مهم أيضا من ناحية أن العدالة تقتضيه ... فالجزاء يقتضي العدالة والعدالة تقتضي الجزاء وهما يجعلهم للأخلاق

معنى وقيمة وبدونهما تفقد الأخلاق معناها فتصبح أمرا لا قيمه له . " (147) فحدد القرآن الكريم الجزاء بقدر المسئولية مع إيثار جانب الرحمة والعفو ومضاعفة الحسنة. قال تعالى :ُّٱقى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ىٰ ني (148) فعندما يوجه الله تعالى إلينا أمره فهو يلزمنا ، فإن استجبنا وخضعنا لأمره ولبينا نداءه ، نكون قد تحملنا مسئوليتنا التي يترتب عليها الجزاء الحسن . وإن كان موقفنا أمام نداء الله تعالى وأمره ومخاطباته لنا التمرد والعصيان والمخالفة ، ترتب على ذلك الجزاء السيئ ، فالمطيع لأمر الله تعالى والقائم برعايته يجزيه الله تعالى ثواباً حسناً ، والعاصي لأمر الله تعالى المخالف لطاعته يعاقبه الله بالعقاب الأليم . وبذلك يتبين أن الجزاء أمر مرتب على المسئولية وسبب ناشئ منها . فالمسئولية والجزاء معناهما متلازمان تتداخل حقائقهما وتتآلف معالمهما لما بينهما من علاقة وثيقة ، الأمر الذي يجعل كل من يتناول موضوع المسئولية بالحديث لا بد أن يتناول الجزاء المرتب عليها ، لأن التلازم بينهما ثابت لا ينفصل . وهكذا فإن الله تعالى قد ربط المسببات بالأسباب ربطاً محكماً ، ومنها الجزاءات على اختلاف أنواعها ، لتكون عاقبة للأعمال ، لا تغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا بثواب أو عقاب ، وذلك ليقوم الناس بالعدل ، وتتهيأ نفوسهم للتكليف والسؤال ، وتتحقق العبودية لله تعالى ، ويوفى كل نصيبه غير منقوص .

" ولما كانت فكرة الجزاء من المبادئ التي تقوم عليها الأخلاق الإنسانية ، فهي موجودة – كذلك – في كل الأديان ، فليس ثَمَّةَ دين لا يُسلِّم بوجود عناية إلهية . وما العناية الإلهية إلاّ نوع من العدالة الجزئية ، التي لا تقتص لنفسها اقتصاصاً تاماً في الحياة الدنيا ، فتقوم بذلك في حياة أخري ، وهذه العدالة الجزئية ، هي ما يفهمه الأخلاقيون من الجزاء ." (149) يقول محمد عبد الله دراز : " كثيراً ما يتساءل المرء إذا كان هناك جزاء أخلاقي ، أو عن إمكان وجود مثل هذا الجزاء ؟!! أليس هذان اللفظان متنافرين تماماً ؟!! أليس إنكاراً لطبيعة القانون الأخلاقي المنزه على الإطلاق أن نقترح للنشاط الإنساني غاية أخرى غير أداء الواجب لذاته ؟!! " (150) يجيب محمد عبد الله دراز عن ذلك فقول : " في رأينا أن الاعتراض يقوم على نوع من الخلط المؤسف بين علم الأخلاق والنزعة الأخلاقية ، بين مقتدى العدالة في ذاتها والأهداف التي تنشدها الإرادة ، فهما أمران متميزان تماماً دون أن يتوازيا بالضرورة ، ولسنا نرى في الواقع أيه إحالة في أن يكون لقانون معين جزاء صارم دون أن يدعونا أن نتخذ من جزاءاته حافزا لجهودنا ، والقانون الفيزيولوجي (

العضوي) يقدم لنا مثالاً على هذه الحقيقة أليس جزاء الظروف الصحية التي أعيش فيها موجوداً آليا في الصحة والمرض ، الذين تسببهما حتى عندما لا أفكر قط في هذه النتائج ؟ فلماذا يكون الأمر على خلاف ذلك في القانون الأخلاقي ؟ " (151)

إن الجزاء عن الأعمال التي يكتسبها الإنسان ، يعتبر قضيةً من قضايا الإسلام الكبرى ، وأصلاً من أصول الإيمان بالله – عز وجل – وأساساً من أسس التوحيد ، وركناً من أركان العقيدة الإسلامية . فالإيمان بأن الله – سبحانه وتعالي – خالقٌ مدبر قادر حكيم ، يوجب كونه لم يخلق شيئاً خالياً من الحكمة والصواب . فالله الحكيم لم يخلق هذا الخلق عبثاً أو لهواً ، ولم يأمر خلقه بل ولم يحملهم مسئولياتهم التي طالبهم بها وأوصاهم برعايتها ؛ إلاّ ليعرضهم للثواب الذي وعدهم وبشرهم به ، أو للعقاب الذي توعَّدهم به وحذرهم منه . فكان من سنة الله – عز وجل – في خلقه جميعاً ، أن يجزيهم علي أعمالهم في الدنيا والآخرة ، إنْ خيراً فخير ، وإنْ شراً فشر . (152) والقرآن الكريم يؤكد في آياته الكثيرة علي إثبات أهمية الجزاء والحساب يوم الدين ؛ ليثبِّت هذه الحقيقة في نفوس الناس وعقولهم ؛ حتى يستيقنوا الغاية التي خُلِقوا لأجلها ، والنهاية التي سوف ينتهون إليها ؛ ليحصدوا ما زرعوا في حياتهم الدنيا ، ويجنوا ثمار ما قدَّموا . بل إنه " يؤكد أن مفهوم الجزاء يشتمل علي ركنين أساسيين لا ثالث لهما : الركن الأول هو الإيجابي : حيث يَثيب الإنسان علي أفعاله الحسنة . والركن الآخر هو السلبي : حيث يجازي الإنسان علي أفعاله السيئة . وعلي هذا فالجزاء يقف علي دعامتين هما : الثواب والعقاب ، ولا يخرج عنهما فعْل مطلقاً . " (153) ولذلك تعددت أنواع الجزاء الأخلاقي في الإسلام علي النحو التالي :

أ- **الجزاء الإلهي** .

لقد آن لنا أن نسال أنفسنا عن طبيعة الجزاء الإلهي ومجاله على ما وصفه القران الكريم ؟ (154) بهذا السؤال بدأ محمد عبد الله دراز حديثه عن الجزاء الأخلاقي الذي هو المحاسبة الإلهية في الدنيا والآخرة ، وهي تلك المحاسبة التي نستطيع أن نرصدها ، فقد يحاسب الله المخالف أخلاقياً كالكاذب أو الخائن في دنياه بعد إتيانه الفعل ، طال الزمن أو قَصُر ، أو يحاسبه في آخرته علي ما صدر منه من سلوك لا أخلاقي في الدنيا ، فكان الجزاء الإلهي يجمع بين الجزاءين الأخلاقي والقانوني . (155)

وإذا كان الإلزام معناه طاعة الأوامر الخلقية واحترامها ، فإن هذه الطاعة لابد من ارتباطها بجزاء ؛ لكي يحفظ وجودها واستمرارها . فالإنسان قد يتحرك بدافع من

مصلحته الشخصية ، وفي هذه الحالة يجب أن يتحرك مستبعداً كل فعل يمكن أن يؤدي إلي الفساد العام . (156) ولذلك أكد القرآن الكريم علي قيمة الجزاء ، فإنه يعلن أن الجزاء الإلهي سوف يشمل الصالحين والطالحين ، ففي شأن الصالحين : يقول الحق سبحانه وتعالي : ﴿ هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴾ ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ﴾ ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى ئي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى ﴾ . (157) ولأن هذه الآيات لا تحدد طبيعة الجزاء الإلهي ، فإنها تحدد هذه الطبيعة في مواضع أخري . ومع أنه يَشُقُّ في بعض الحالات أن نقرر عن أي الحياتين الدنيوية أم الأُخروية يتحدث الحق – سبحانه وتعالي – في مثل قوله : ﴿ آى تي ﴾ ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى ئي فى في قى قي كا ﴾ . (158)

وينقسم الجزاء بحسب النوع إلي : ثواب ، وعقاب ، فمن حيث الإثابة : فقد أخذ الله – سبحانه وتعالي – علي نفسه عهداً بإثابة المحسن علي إحسانه ، قليلاً كان إحسانه أم كثيراً ، ووعْدُه حق لا يُخلَف ، يقول الله سبحانه وتعالي : ﴿ ألخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ ﴾ (159) ولا يكتفي بإثابة المحسن بقدر إحسانه ، بل يضاعفه إلي ما شاء ، مثلما جاء في قوله تعالي : ﴿ بن بى بي تر تز تم تن تى تي ﴾ ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى ئي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ﴾ . (160)

أما عقاب المسيء : ففيه تفصيل ؛ لأن هناك ذنوباً لابد أن يعاقَب عليها صاحبها ، كالكفر والإشراك بالله ، كقوله تعالي : ﴿ أيز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه ﴾ ﴿ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح ﴾ (161) ولا يغفر الله – كذلك – إذا كانت الإساءة متعلقة بحق العباد ؛ لأن هذا حق الناس في الدرجة الأولي ، ولا يغفر الله ما للناس علي الناس ، إلا إذا عفا المظلوم عمن ظلمه . وهناك مساوئ ترك الله غفرانها لمشيئته ، مثل الكبائر في حقه ؛ لأنها دون الشرك ، إلاّ أن هذا ليس وعداً ، وبناء علي ذلك فلا يدخل الشرك ضمن هذه الذنوب . (162) وهناك ذنوب صغيرة يسميها القرآن الكريم أحياناً بالسيئات ، وأحياناً أخري بالصغائر ، وثالثة بالعصيان ، وقد وعد الله بغفرانها إذا تجنب صاحبها الكبائر . فقال سبحانه وتعالي : ﴿ أكم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ني ﴾ (163)

ب – الجزاء الوجداني . (164)

" هو تلك الحركة الشعورية ، التي نحس بها في أعماق قلوبنا بالفرح أو التأنيب مباشرة ، بعد كل فعل نعتقد أنه حسن أو قبيح . هذا الشعور أو الإحساس المتحرك الذي يَجِيشُ في نفوسنا ، تختلف درجته من فرد إلي آخر ، بحسب الاستعداد الفطري أو الوراثي ، والتربية الأخلاقية ، وصفاء الضمير ونقائه ، وإيمانه بموافقة ذلك العمل لإرادة الله – عز وجل – أو مخالفته لها . فالوجدان أو الضمير يُعتبَر مَحْكمةَ عدلٍ مباشَرةً ، لا تحتاج إلي شهودٍ ، ولا قاضٍ يخبرك بخيرية الفعل أو شريته قبل فعله ، ويَجزيك بالسرور إن كان فعلاً حسناً ، وبالوَخْز والألم إن كان شراً . " (165) " والمراد به شعور الفاعل بالغبطة والارتياح ، لفعل ما يعتقده خيراً وصلاحاً ، وبالحسرة والكآبة ، لفعل ما يعتقده شراً وفساداً ، وبديهي أن هذا الشعور يختص بالذين يتميزون بالنبل والإنسانية ، ويحبون الخير وأهله ؛ لوجه الخير ، ويستنكرون الشر وفاعله ؛ لأنه شر " (166)

هذا الشعور أو الإحساس المتحرك الذي يَجِيشُ في نفوسنا ، يجعل المرء – دائماً – في حساب مع نفسه ، فتُحدِّثه نفسه بالتوبة . " فالتوبة ليست مجرد كلمة استغفار تجري علي الألسنة ، ولكنها تتمثل في العَبرة من آثار العَثْرة ، وفي استشعار الوُجد من عظيم الذنب مع قدرة الله ، فيَهِيج من التائب الندم علي ما فرَّط في حق ربه ، وحق نفسه ، وذلك يقتضي منه اجتماعَ الهِمَّة وصِدْقَ العزيمة . " (167) وعلي التائب أن يستعين لاجتماع الهِمَّة وقوة العزيمة ، بما هو عتاب وتوبيخ . فيعاتب نفسه قائلاً : كيف أطلب لَذَّة عاجلة يعقبها ندم طويل ؟! ولا يزال التائب مع نفسه بين تحذير ووعيد ، يُحَذِّرها العاقبة ومَغَبَّة الهوى ، ويَعِدُها برِضَا الله – سبحانه وتعالي – حتى يَهِيج منه الندم ، ويشيع في نفسه الحزن علي ما اقترف من ذنوب وآثام .

" إن الندم أثر طبيعي للصراع ، ولكنه ليس جزاء مادياً . أما التوبة – علي عكس ذلك تماماً – فإنها ليست أثراً طبيعياً ، بل هي جزاء أخلاقيٌّ بالمعني الحقيقي ، يفترض تدخل الجهد ، إنها واجب جديد يفرضه الشرع علينا ، علي إثْر تقصيرِنا في الواجب الأوَّلِي . " (168) يقول الحق سبحانه وتعالي : **أَلَمْ كما كل كم كى كي لم لى لي ما هم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج**. (169) إن رغبةُ الإنسان في أن يغتنم في حاضره كل الشهوات المتاحة ، وأن يؤجِّل مَحْوَ كل ذنوبه إلي أن يتوب

توبة صادقة – مع النَّزْع الأخير – ليست سوي وَهْمٍ باطل ، فإن القرآن الكريم يؤكد ذلك في قوله سبحانه وتعالي : ﴿ كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ﴾ (170) " وبيْن التوبة العاجلة ، والإصرار علي المذنب ، فهناك الحل البديل ، الذي يتمثَّل في أنْ يَأسَف الإنسان علي الماضي ، ثم يؤخر إصلاحه إلي حين ، وهنا مَكْمَن الخطر ؛ لأن القرآن الكريم ينص علي أن مغفرة الذنب ليست إلاّ لمن يتوبون من فورهم ، أو بعد حين . " (171) يقول الحلق جل جلاله : ﴿ بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي ﴾ (172)

وقد يَرْكَن الإنسان " إلي المعاصي ، ويظل مُصِّراً عليها ، مُتعلِّلاً بأن الهداية من الله ، وأنْ الله لو شاء أن يتوب عليه ، فسوف يتوب ، فإن ذلك التسويف من خِدَاع النفس . فهل يأمن هذا المسوِّف ألا يأتيه الموت بَغْتَة دون توبة فيبوء بإثمِه ؟! والواقع أن التوبة ليست أمراً يسيراً ، إنها ثقيلة علي النفس ، ومِنْ ثَمَّ فقد لزم اجتماع الهِمَّة ؛ حتى يقطع شُغْل الجوارح عن كل شيء ، ويمنع خَطَرَات القلب عن كل ميْل . وكما أن الإنسان حين يريد أن يُحْسِن شيئاً من أمور عمله ، لا يُشْغَل عنه بشيء آخر كذلك فإن التوبة تقتضي قطْع شُغْلِ الجوارح عن الدنيا ، وعن شهوات النفس " (173) وقد عَّبر الرسول الكريم عن عذاب الوجدان ، وبيَّن كيف أنه يؤدي إلي سِقَم الجسم . يقول الدكتور عادل العوا : " أما عذاب الوجدان ، أو وخْز الضمير وتأنيبه ، فهو ألم معنوي يَنتج عن تصور شر وقع ، والإنسان مسئول عنه ، إنه هو الذكري التي تؤلم قلب المجرم ، ولا تفارقه ليل نهار ." (174)

ج – الجزاء الاجتماعي .

ينقسم إلي نوعين : النوع الأول هو الجزاء المادي : وهو ما يقرره المجتمع من عقاب للعاصي المنحرف ، ومكافأة للمستقيم الصالح . وقد قرر الإسلام عقوبات مختلفة ، بحسب الجرائم المرتكَبة ، وأعطي حق تنفيذ العقوبة للمجتمع ، كعقوبة الزني مثلاً ، فقال سبحانه وتعالي : ﴿ نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ﴾ (175) فقد حث علي أن يشهد هذا العقاب جمْع من الناس ؛ ليكون ذلك أوقع في نفس المجرم ، كما أن ذلك يُعتبَر زجراً للآخرين .

أما النوع الثاني من الجزاء فهو الجزاء المعنوي : وهو عدم الاعتداد بشخصية الفاسق ، وعدم الثقة به ، ولهذا لا تُقبَل شهادته . كقوله سبحانه وتعالي : **ﭐﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱠ** (176) وليس هذا قاصراً علي الشهادة فقط ، بل يشمل – أيضاً – تولِّيه الوظائف ، وإسناد المهام إليه . (177) وبمقابل إسقاط القيم الأدبية للفاسقين ، أمر الإسلام برفع القيمة الأدبية للصالحين ، ورفع درجاتهم بحسب درجة أخلاقهم .

4 – النية والدوافع .

النية ركن مهم في النظرية الأخلاقية ، باعتبارها دافعاً باطنياً نحو العمل الأخلاقي ، وهو الوجه الداخلي للضمير الأخلاقي ؛ ولأجل هذا الدور جاء التأكيد على عنصر النية في العديد من الآيات القرآنية الكريمة منها قول الله سبحانه وتعالي : **ﭐﱹ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﱠ** (178) ويـــري محمد عبد الله دراز " أن النية في أي نشاط إما أن تسبق العمل أو تصاحبه ، وقد أوضح مدى تأثير ذلك في صحة وقبول العمل . " (179) وفي سياق تحليل دراز لركن النية والدوافع عالج جملة من القضايا والإشكالات نعرض لها علي النحو التالي :

أ– النية كشرط لصحة الفعل الأخلاقي . فالقانون الأخلاقي يقرر أن أعمالنا لا تنسب إلينا إلا بما يتناسب مع درجة النية التي نؤديها بها ، فمن الناحية الأخلاقية لا يدخل في باب الأخلاق أي عمل لا يكون في آنٍ واحدٍ إراديًا وشعوريًا ومعقودًا عليه النية ، خلافًا للقانون الاجتماعي الذي يكتفي في العمل أن يستوفي بعض الشروط الموضوعية البحتة، والتي تتعلق بالمكان والزمان والكم والكيف بصرف النظر عن النشاط الإرادي وأثره .

إن المبدأ الذي استخلصه دراز " هو أن الأخلاقية والمشروعية تنفصلان انفصالا جذريا منذ البداية من حيث مدى قبول الفعل في نظر القانون الأخلاقي والقانون الاجتماعي فمن الناحية الأخلاقية لا يدخل في باب الأخلاق أي عمل لا يكون في آن واحد إراديا وشعوريا على النية بينما هذه الشروط غير مطلوبة في الوفاء بالالتزام الاجتماعي وإنما يجب ويكفي أن يستوفي العمل بعض الشروط الموضوعية البحتة تتعلق بالمكان والزمان والكم والكيف حتى ولو تحقق الواقع الحادث دون علمنا ودون إرادتنا أو كان نتيجة إكراه ، أو صدفة . " (180)

ب – النيـة وطبيعـة العمـل الأخلاقـي : بحث دراز الدور الايجابي للنية فقال : " لقد أتاح بحث المسألة الأولى ، الخاصة بغيبة النية ، أن نثبت مبدأ النية ، كشرط صحة أخلاقية في كل عمل . فالحدث اللاشعوري ، والحدث اللاإرادي ، بل والعمل الشعوري الإرادي الذي لا يتصور على أنه خضوع ، أو إخلال بتكليف ، وإنما يؤتى من جانبه الطبيعي الدنيوي هذا كله عاجز عن الوفاء بواجبنا، عندما يجب . (181)

" ومن ثم فإن حسن النية لا يمكن أن يتمثل هنا في شرف الغايات التي قد تتحرك بها الإرادة . إن قيمة النية تنبع هنا فقط من الطريقة التي نحكم بها على مشروعاتنا ، من حيث اتفاقها ، أو اختلافها مع القانون . ولما كانت أحكامنا الأخلاقية لا تتوافق بالضرورة مع واقع الأشياء ، فقد يكون بينها وبين الإرادة فاصل ، حين تسعى الإرادة إلى بعض الأمور على أنها مطابقة أو مناقضة للواجب ، ولكنها لا تكون كذلك في الواقع . والمسألة في الحقيقة ، هي في محاولة معرفة ما إذا كان يكفي أن نحكم بصدق على عمل ما بأنه مباح أو ممنوع ، وأن نتابعه بهذا الاعتبار ، لكي يكتسب الصفة التي أسبغناها عليه ، إن لم يكن في ذاته ، فعلى الأقل بالنسبة إلينا . وتلك مسألة يصعب علينا إلى أقصى حد أن نعطي عنها إجابة قاطعة ، بالإيجاب أو بالنفي . " (182)

ثم يستطرد دراز فيقول : " ذلك أننا من ناحية لو التزمنا بدقة التعبير ، وأخذنا بالفكرة القائلة بأن النية الحسنة هي في ذاتها الخير الأخلاقي" :الخير المطلق بلا قيود الخير الوحيد في العالم ، بل وفيما وراء العالم فلسوف يقودنا ذلك منطقيّاً ، لا إلى تسويغ جميع الأخطاء ، والضلالات ، التي تحدث للضمير فحسب ، بل إلى أن نتخذ منها قيماً مطلقة ، ونماذج كاملة من نماذج الفضيلة ، ولسوف يكون محاولة مخفقة أن نرجو إبعاد هذه الحالات على أنها : " أعمال مناقضة للواجب "كما حاول كانط بعد ذلك بقليل أن يفعل ؛ لأن الحالات المذكورة على وجه التحديد يفترض صاحبها أنها مطابقة للقاعدة . ولو عنَّ لإنسان أن يتطلب خارج مجال النية مطابقة مادية للقانون ، على ما هو عليه في ذاته فلن يعدو الأمر حينئذ أن يهدم ما هو بسبيل بنائه، حيث يرجع بهذه الطريقة عن مبدأ القيمة المطلقة للإرادة الطيبة ، الذي يريد اتخاذه كأساس . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لو أننا اعتبرنا توجيهات الضمير عاجزة عن تغيير أي شيء في طبيعة العمل ، فإن أكثر الطوايا إثماً ، وأشد النوايا سواداً ينبغي أن تتقبل في نطاق الأخلاقية كما تتقبل أكثر النوايا استناداً

للمسوغات الطيبة ، بشرط واحد هو أن تبدو مادة العمل دون أي مأخذ عليها في نظر الشرعية. " (183)

ج – **فضل النية على العمل** فإن القيمة التي يمنحها الله سبحانه وتعالى للإنسان ، تتحدّد بمقدار ما يعيش الإنسان داخله ، فإنّ الله سبحانه وتعالى ينظر إلى قلوب الناس ، كما ورد في بعض الأحاديث ، ولا ينظر إلى وجوههم ، باعتبار أن قلب الإنسان هو صورته الحقيقيّة التي تطبع شخصيّته ، والتي تحرك كل قضاياه . ففي البداية . مثلاً لا بدّ للإنسان في علاقته مع ربّه من أن يعيش الإخلاص له ، بحيث لا ينطلق في أيّ عمل ولا في أيّة علاقة ولا في أيّ وضع من أوضاعه إلا على أساس علاقة تلك الأمور برضا ربه ؛ لأنّ الإخلاص لله سبحانه وتعالى ليس مجرّد إحساس ، ولكنه يمثل كلّ عقيدة وكلّ إحساس بمعنى وجود الإنسان وسرّه . فالله يريد من عبده أن يكون في كل معانيه ، كلّ شيء عنده ، بحيث لا يكون هناك أي شيء لغير الله إلا من خلال الله .

يقول دراز : " ها نحن أولاء قد قمنا – إن صح هذا التعبير – بتشريح العمل القائم على النية ، وميزنا فيه بين طبقتين : باطنة وظاهرة ، النية والتنفيذ ثم إننا غيرنا شروط كلا العنصرين ، كل بدوره ، حتى ندرك درجة أهميته الخاصة في البناء الأساسي للواجب . وقد استدعى هذا التعديل انهياراً كلياً أو جزئيّاً في صرح الواجب ، وانتهينا إلى ضرورة وجود هذه الشروط لبناء عمل أخلاقي كامل . بيد أن هذه الطريقة ، التي هي نوع من الاستدلال بالمحال ، مع الاستعانة بتحليل للتجربة الأخلاقية ، تقدم لنا بالأحرى جانباً سلبياً من المشكلة ، حين ترينا الآثار السيئة ، التي قد يحدثها غياب أحد الجزأين أو انحرافه . إنها لا تفيدنا شيئاً من العلم بطبيعة إسهامه الإيجابي في تحقيق الخير. ومن أجل هذا الغرض سوف نعيد الآن وضع الأمور في تركيبها البدائي ، ولسوف نحاول من خلال ملاحظتنا لهذه الطبيعة المزدوجة للعمل الأخلاقي أثناء نشاطه أن نقدر بقيمتها الحقة مختلف ضروب الخير التي يتعين على العمل الأخلاقي أن يوجدها في العالم ، أو في أنفسنا . ومن المقرر عموماً تقسيم الواجبات إلى : واجبات نحو النفس ، وواجبات نحو الغير والواجبات نحو الله ليست في نهاية الأمر سوى واجبات نحو أنفسنا ، فطاعتنا أو معصيتنا لا يمكن أن تزيدا أو تنقصا شيئاً من العظمة الإلهية وقداستها ، ولما كان هناك نوع من التقارب بين مفهوم النية ، ومفهوم الواجب الشخصي ، كما يوجد ارتباط واضح بين العمل الظاهر وعلاقاتنا الاجتماعية فإن من الممكن بادئ ذي بدء أن نقوم بنوع من توزيع الخصائص ، بأن

نعين لهذين العاملين الداخلي والخارجي ، منطقتين مختلفتين من مناطق التأثير ، ومن ثم تخرج إلى قيمة مساوية تقريباً للنية وللعمل ، وإن كان ذلك من وجهتي نظر مختلفتين : فللنية دورها في إثبات وتأكيد طهارة القلب ، وشرف النفس ، وفي كلمة واحدة : كمال الذات . وللعمل غايته في تأمين العيش الرغيد لإخواننا ، وتنميته . " (184)

د –إخلاص النية واختلاط البواعث (185) : القرآن الكريم حسم أمر النية الخالصة لدى العبد ، وحصرها في التوجه القلبي الخالص إلى عبادة الله يقول الحق سبحانه وتعالي :ﱡ **ئر ئز ئم ئن ئى ئيﱠ** (186) وبناء عليه فإن كل البواعث التي تضاف إلى إرادة الطاعة تفسد قيمة العمل وتحرمه من رضا الله تعالي ، هذا التوجه المطلق هو المطلوب لكي نقول عن النية إنها حسنة . لكن دراز أثار في هذا المقام تساؤلات كانت موضوع نقاش لدى بعض الأخلاقيين المسلمين السابقين كالغزالي والمحاسبي ، من قبيل : هل هذا التوجه الخالص للنية هو واجب صارم لا يشتمل على درجات ؟ هل الفطرة الإنسانية قادرة دائمًا على تحقيق هذا النوع من التجرد ؟ يعتقد دراز أن مبادئ القرآن الكريم تستميلنا لتكون أقل تشدداً في النقاط الوسط ، عن النقاط التي في أقصي النقيض فإذا لم يكن الشيء في حدود استطاعتنا ، وما دام أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، فيجب أن نؤول النصوص التي تطالبنا بهذا التجرد المطلق على أنها تحدد نقطة الذروة للقيمة الأخلاقية كي تتجه جهودنا نحوها دون أن تبلغها ، وبذلك يكون الابتعاد عنها عيباً وليس ذنباً ، وعدم كمال وليس فجوراً . (187)

5 – الجهد .

بعد أن درس دراز العلاقة الوثيقة بين ركنين مهمين في نظريته الأخلاقية وهما عنصري النية والعمل ، وبعد أن حدد الدور الإيجابي لعنصر النية في إصلاح الضمير الأخلاقي ، انتقل لبيان الدور الفائق الذي يؤديه العنصر الثاني العمل باعتباره السلاح الوحيد ، الهجومي والدفاعي في معركة الفضيلة . (188) " بيد أن مفهوم الجهد لا يتحدد بوساطة العمل بعامة ، بل بالعمل المؤثر الفعال بخاصة ، الذي موضوعه مقاومة قوة ، أو قهر مقاومة وهو تعريف متوافق ابتداء مع المعنى المادي ، ولكنه يجب أن يتوافق أيضاً مع المعنى الأخلاقي . والتماثل بين المجالين واضح جلي ، فعلى صعيد الإبداع الخيِّر يصادف الفكر غالباً في الموضوع ، وفي نفسه عقبتين ينبغي أن يتخطاهما خمود المادة التي يجب تحويلها ، ونقص الهمة في

الإرادة الفاعلة . والأمر كذلك عندما يجب الامتناع عن الشر ، في مواجهة القوى التي تدفعنا إليه . ففي هذه الحالات جميعاً لا يكفي أن نعمل ، بل يجب أن نجاهد بقوة وإصرار لقد كان وجودنا العضوي والمادي صراعاً مستمراً ضد جميع أنواع الشرور ، التي نلقاها عن طريق الحياة ، حتى الموت ، ولا يفتأ القرآن يذكرنا بهذا الظرف الملازم للطبيعة الإنسانية (189) في مثل قوله تعالى : ﴿ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر﴾ (190)

والقرآن يدعو إلى أن نبذل هذا النشاط ونمده على طريق التقدم الأخلاقي الصاعد ، وهي دعوة يصوغها في تشبيه مجازي جميل ، وهو يقول :﴿بخ بم به تج﴾ (191) ثم يبين حقيقتها ﴿تح تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم﴾ (192) ولم يكتف القرآن بأن يستثير الناس إلى تحقيق هذا الاقتحام الساعد ، بل مضى إلى حد أن أدخل فكرة هذا الجهد في تحديد الإيمان الصادق نفسه :﴿بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ﴾ (193) وقد اكتشف دراز بفضل تعمقه في دراسة آيات الأخلاق النظرية في القرآن الكريم نوعين من الجهد الأخلاقي (194)

جُهد مدافعة : ويَقصد به تلك العملية التي نضع فيها في مواجهة الميول الخبيثة التي تحثنا على الشر قوة مقاومة قادرة على دفع تأثيرها.ولا أحد يستطيع أن ينازع في ضرورة عملية كهذه، كلما وجدنا أنفسنا أمام قوة معادية تريد أن تتغلب، فواجبنا الأول في هذه اللحظة، ومهمتنا العاجلة الملحة هي أن نسكت سورتها. ولقد رأينا أن القرآن لا يفتأ في كثير من المواضع يطالبنا بهذه المقاومة، وهو يعد أولئك الذين يعرفون كيف يقهرون شهواتهم بأعظم الغايات (195) يقول الحق تبارك وتعالي :﴿يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح﴾ (196)

الجهد المُبدع : وهو عملية تعقب النوع الأول ، فبعد تخليص الإرادة الأخلاقية من الميول السيئة فإن الفاعل الأخ لاقي يبدع في المقابل ميولًا نافعة حسنة، ويسعى إلى زرعها في إرادته الحرة . (197) يقول دراز : " لفترض الآن أن أحد ميولنا السيئة ، أو كثيراً منها، أو كلها قد انزاح من وجودنا الأخلاقي ، إننا نكون بذلك قد حققنا تقدمًا. وكلما تخلص حقل عملنا من أعشابه الضارة ، أصبح أكثر قابلية للزراعة

. ومع ذلك يجب ألا نظن أنه قد أصبح – للحال– صالحاً ؛ لأن تنحية الاتجاهات الضارة ليس معناها خلق الاتجاهات النافعة بالضرورة . ولذلك يجب ألا نبقى في حالة اللامبالاة ، والحياد ، حيال ما يجب غرسه ، فبعد أن ننزع الأعشاب الضارة يجب علينا أن نبحث عن البذور الجديدة . فأما إذا التزمنا موقفًا محايدًا في هذا الصدد فإن هذا الموقف يكون ضد الأخلاق . ولنفترض كذلك أن بعض الميول الصالحة الراسخة تحتل لدينا الآن المكان الأول ، فتلك ولا شك خطوة جديدة ، تجعلنا أكثر تأهلًا للأخلاقية ، ولكنا لا نكون بعد في صميم أرضها . في هذه المرحلة يتمثل الخير لنا على أنه الأجدر ، أو الأفضل ، ولكنا لم نترك بعد مجال النزوع . وشتان بين أن ننزع إلى شيء ، وأن نريد هذا الشيء ، فالعمل الأخلاقي الأول هو الإرادة ، على وجه الخصوص . وليس المراد فقط إرادة" الخير من حيث هو مفهوم عام ، يحوطه الغموض وعدم التحديد ، مما تحتويه العموميات ، بل هو إرادة هذا الخير ، أو ذاك ، محدداً معرفاً بكيفه ، وكمه ، وغايته ، ووسائله ، ومكانه ، وزمانه . (198)

هكذا قدم محمد عبد الله دراز للبشرية القيم الأخلاقية المودعة في كتاب الله ، حيث استطاع من خلالها المساهمة الأصيلة ، في إخراج الدرر الأخلاقية من القرآن الكريم ، وإتاحتها في أجمل صورة للإنسانية كلها . قدم خطة إستراتيجية واضحة المعالم وقابلة للتنفيذ ، هدفها الأساسي هو إبراز الطابع العام للأخلاق المستمدة من القرآن الكريم من الناحية النظرية والعملية . إنها رسالة تكمن في أعماقها درر وجواهر ملهمة منها : الإلزام ، والمسئولية ، والجزاء ، والنية والدوافع ، والجهد . تلكم هي العمد الرئيسية لكل نظرية أخلاقية واعية بمراميها . إن نظرة سريعة على مؤلفات علم الأخلاق العام التي كتبها علماء غربيون كافية لنلحظ فيها فراغاً هائلاً وعميقاً نشأ عن صمتهم المطلق عن علم الأخلاق القرآني . التمييز بين الخير والشر هو إلهام داخلي مركوز في النفس الإنسانية قبل أن يكون شرعة سماوية ، وبأن الفضيلة في نهاية المطاف إنما تتخذ مرقاتها من طبيعتها الخاصة ومن قيمتها الذاتية ، وبأن العقل والوحي على هذا ليسا سوى ضوء هاد مزدوج تمتد جذوره في أعماق الأشياء .

نتائج الدراسة

1- انطلق محمد عبد الله دراز من فكرة مركزية مفادها أن الإسلام قدم مبادئ أخلاقية عامة تأتلف فيما بينها لتكون في مجملها نظرية أخلاقية تشكل القاعدة الأساسية لكل الممارسات العملية ، وتتجلى النظرية الأخلاقية في المحددات المعرفية التي تتمثل في العلم والمعرفة ، كما تتمثل في المحددات السيكولوجية التي تتعلق بالإنسان والطبيعة البشرية ، كالإلزام والمسئولية والحرية وإرادة الاختيار .

2- الفكرة المركزية في الأخلاق القرآنية عند محمد عبد الله دراز هي أن العرف قد جرى على تسمية القوانين الأخلاقية بحسب العنصر الغالب في مضمونها فردياً ، أو اجتماعياً شريعة عدل أو شريعة رحمة ، إن الشريعة توصي بالعدل والرحمة معاً ، وتتوافق فيها العناصر الفردية والاجتماعية والإنسانية والإلهية على نحو متين .

3- سعي محمد عبد الله دراز إلى مناقشة جُل المسائل والمعضلات الأخلاقية ، محللاً النظريات المختلفة ومقرراً رؤيته وفهمه بالنظرية القرآنية إزاء كل منها ، إن هذا الاتساع في الرؤية لا يخلو من سلبيات انعكست أحياناً على عمق التحليل المتصل ببعض المسائل والمعضلات إلا انه لا يمكن التقليل إطلاقاً من عمق الحجاج الفلسفي الأخلاقي الذي قدمه دراز ، بل لقد فتحت دراسته آفاقاً جديدة في النظر الأخلاقي عموماً ، وفي القرآن الكريم خصوصاً على نحو يسهم في إعادة صياغته للمنظومة العقدية والتشريعية ، الأمر الذي لم يتم استثماره بعد مثل النظر في لوازم فكرة الأساس الأخلاقي للتشريعات القرآنية ، التي أثبتها دراز بالاستقراء التام ، وما تثيره من أسئلة عن مقاصد هذا التأسيس الأخلاقي للتشريعات ، وأثره وفائدته علي حياة البشرية .

4- اعتنى محمد عبد الله دراز في عمله التنظيري الأخلاقي ، بتأسيس أسُس النسق الأخلاقي القرآني ، دون أن يوجه عنايته إلى دراسة المفهومات الأخلاقية التي يعج بها القرآن الكريم ، مع إدراكه أن المفهومات الأخلاقية ذات أهمية في بناء أي نظرية أخلاقية ، واقتصر فقط على الدلالات لأخلاقية الإجمالية المفترضة صحيح أن دراز ينطلق من البنية الحجاجية للخطاب القرآني في التحليل ، إلا أن المفاهيم الأخلاقية تعتبر لبنات لا يمكن تجاوزها في تأسيس أي نظرية في الأخلاق .

5- فرضت التحديات الفكرية والاجتماعية الحديثة ، التي طرحها الغرب بنظرياته وفلسفته ، وواقعه الأليم على المفكرين المسلمين معارضتها ، ودحض شبهاتها وكشف عوراتها ، إلى جانب إبراز عظمة الأخلاق القرآنية ، واستطاعتها تقديم حلول في كافة

المجالات ، وهذا ما قام به محمد عبد الله دراز خير قيام في بحثه عن الأخلاق القرآنية .

6- أحدثت فلسفة محمد عبد الله دراز نقلة نوعية في مجال فلسفة الأخلاق في الإسلام ، عندما تحررت من الطابع الفقهي والوعظي السائد في الفكر الإسلامي ، فجاءت فلسفته لتثبت بما لا يدع مجال للشك صلة الأخلاق بالدين ، معيدة إلى الأخلاق مكانتها الصحيحة في الفكر العربي الإسلامي ، وذلك بتأكيده على الطابع الإنساني العام من حيث افتراضها ضمناً تجاوز القرآن الكريم للمحيط التاريخي ، الذي استجد فيه مما انعكس على التوكيدات القرآنية ، فاتخذت إطاراً عالمياً مطلقاً خارج إطار الزمان والمكان .

7- لم يقتصر القرآن الكريم على الملكات العقلية وحدها ، فلقد عنى في الوقت نفسه عناية كبيرة بإيقاظ أشرف مشاعرنا وأزكاها ، بيد أنه لم يحرك هذه إلا تحت رقابة عقلنا ، فهو يتوجه إلينا دائماً ، ومن المشاعر السامية التي حركها القرآن فينا نذكر على سبيل المثال ما جاء فيه دعما لسائر واجباتنا الاجتماعية بالمعنى الأوسع لكلمة مجتمع ، ألا وهو الشعور بالأخوة الإنسانية .

8- إن الإسلام قد اعتد بالعقل والإدراك ؛ لأنه يميز بين الخير والشر كمصدر من مصادر الإلزام ، وكذا الضمير الخلقي والحاسة الخلقية ، التي تميز بين ما هو جميل من السلوك وما هو قبيح ، وكذا الدوافع النفعية ؛ لأن الإنسان بطبيعته يحب الخير والنفع لنفسه ، ومن هنا خلص محمد عبد الله دراز إلي أن للإلزام الخلقي مصادر متعددة في الإسلام ، وإن كانت ترجع كلها إلى مصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

9- إن القرآن الكريم حين يريد أن يوجز وصاياه المتعلقة بالإيمان ينتهي بها إلى وصية واحدة هي التفكر في عزلة أو في صحبة شخص آخر : ﴿ **صح صخ صم ضجضح ضخ ضم طح ظم عج عم غجغم فج فح فخ فمقح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم** ﴾ (199)

10- هناك مقياس تستطيع الضمائر الطاهرة أن تلمح به الحد الأعلى الذي يتحول عنده معنى كل فضيلة إلى نقيضها حين تلحق الضرر بفضيلة أخرى . الأمر الجوهري بالنسبة لى كمؤمن هو أن أبذل جهدي في حال الالتباس وأن أميز وأتبع بأمانة وإخلاص ما يمكن أن يكون من أمر الله تبعا لمجموع تعاليمه . ولو كان الحل الذي اجتهدت فيه واخترته منحرفاً فلن أكون آثما متى بذلت جهدي الضروري الذي يصدر عنى ولإضاءة طريقي والله يقول : ﴿ **ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم بهتج تح تخ**

تم تهـ ثم ّ (200) كل مسئولية هي مسئولية أخلاقية متى ارتضيناها. فالمسئولية التي يحملنا إياها غيرنا تصبح بمجرد قبولنا لها مطلباً صادراً عن شخصنا .

11- من الأمور الملزمة أن أنور ضميري وأن أستعلم عن واجباتي كلما جهلتها ولا يتحتم لهذا أن أواجه مشكلة بعينها . ولكن هناك حالات أعتقد فيها بكل صدق ، أن العمل الذي ألزم نفسي به ، أو أمتنع عنه ليس سوى عمل فطرى طبيعي لا ينشأ عن أي تحريم أو تكليف.

12- إن الإرادة ليس معناها أن نصوغ طلباً بل أن نصدر مرسوماً ، إنها لا تعنى أن نمد يد سائل بل هي التقدم بخطوة فاتح ، والإرادة ليست امتداداً لسلسلة معطاة بل هي بدء سلسلة أخرى ينبغي أن تعطى . إننا مهما صعدنا إلى أعلى الدرجات في سلم الفضيلة ، أو هبطنا مترددين في منحنى الرذيلة ، فإن أحكم الناس كأشدهم فسقاً ، كلاهما يستشعر في نفسه القدرة على أن يتوقف أو ينكص على عقبيه أو يعاود الكرة .

13- عدّ الإسلام مصدر الإلزام الأول هو الشرع ، ثم أساس المسئولية قبول الإنسان عن اختيار لتحمل الأمانة والجزاء يصبح للأخلاق معنى وفائدة وغاية يسعى لها الإنسان بالإضافة إلى معايير أخرى بجانب الشرع .

14- المسئولية ترتبط ارتباطاً وظيفياً بالشخصية ولذلك لا يطيقها غير الإنسان البالغ العاقل لا الواعي بتكاليفها وبحيث يتمثلها أمام ناظره فى لحظة العمل . فإذا ما تحددت صفات الشخص تعين بعد ذلك أن يكون مسئولاً عن الأفعال التي يأتيها بإرادته الحرة . وإذن ، فالإرادة والحرية هما من الناحية العملية مترادفان وليس لأي قوة في الطبيعة، باطنة ، أو ظاهرة سلطة كافية لكي تحرك أو توقف النشاط الجوانى لإرادتنا .

15- تختص المسئولية الأخلاقية والدينية بشروط أهمها ، الطابع الشخصي لها ، أي أنها شخصية محضة فالإنسان مسئول مسئولية كاملة عما يصدر عنه من أفعال ، وعلى ذلك يأتي الثواب والعقاب ، ثم العنصر الجوهري في العمل ، أي أن العمل متعلق بالمسئولية جوهره النية الكاملة ، وكذا شرط الحرية ، ويعني هذا أن يكون للفرد حرية الإرادة والاختيار والتصرف فيما يختاره ، وأن يكون قادراً على القيام بمسئولياته وأفعاله ، ثم مسئولية اجتماعية فنجد الإسلام يؤكد أن الإنسان مسئول عن نفسه وعن غيره ، وما فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا ترجمة للمسئولية الاجتماعية .

16- النيـة والـدوافع بالإضـافة إلـي الجهـد ركنـين مهمـين مـن مرتكـزات التأصـيل الإسـلامي للنظريـة الأخلاقيـة عنـد محمـد عبـد الله دراز ، موضـحاً علاقتهمـا القويـة بالأخلاق من خلال الاستدلال بالآيات القرآنية الكريمة .

– هوامش الدراسة .

(1) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، ط 10 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1998 ، ص 18 .

(2) فتحي حسن ملكاوي : منهج محمد عبد الله دراز في التأصيل الإسلامي لعلم الأخلاق ، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر ، مجلد 14 ، عدد 53 ، الأردن ، 2008 ، ص 5 .

(3) المرجع السابق ، ص ص 5 – 6 .

(4) محمد عبد الله دراز : كلمات في مبادئ علم الأخلاق ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2021 ، ص ص 17 – 18

(5) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 60 .

(6) المصدر السابق ، ص 34 .

(7) سورة النور : من الآية ٣٥ .

(8) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 256 .

(9) محمد عابد الجابري : العقل الأخلاقي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2001 ، ص ص 10 – 17 .

(10) محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، 1988 ، ص 180 .

(*) ولد الدكتور محمد عبد الله دراز سنة 4994 م من أسرة علمية عريقة بمصر في قرية من قرى كفر الشيخ ، فوالده الشيخ عبد الله دراز فقيه لغوي معروف ، درس بالأزهر الشريف ونال درجة العالمية سنة 4942 م ، وعين مدرسا عام 4939 ثم أستاذاً للتفسير بكلية أصول الدين ، وفي عام 4922 حصل على منحة دراسية للدراسة بجامعة السوربون الفرنسية ، وهناك درس على يد كبار المستشرقين مثل : ليفي بروفنسال ، لويس "ماسينيون، لوسن ، حتى نال درجة الدكتوراه في فلسفة الأديان بمرتبة الشرف الأولى عام 1947 ، ترك دراز تراثاً فكرياً راقياً ، من حيث العدد لم يكن كبيراً حيث لم يتجاوز أربعة عشر مؤلفا من الدراسات العلمية والكتب ، ويعد كتابه (دستور الأخلاق في القرآن) .

من أهم كتبه وأبرزها :

1– النبأ العظيم نظرات جديدة في القران ، دار القلم ، الكويت ، 1957 .

2- نظرات في الإسلام ، بدون دار نشر ، 1972 .
3- الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990 .
4- مختصر دستور الأخلاق ، تلخيص وترجمة محمد عبد العظيم علي ، ط1 ، دار الدعوة ، القاهرة ، 1996 .
5- دستور الأخلاق في القرآن ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، ط 10 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1998 .
6- كلمات في مبادئ علم الأخلاق ، مؤسسة هنداوى ، المملكة المتحدة ، 2021 .
7- مدخل إلى القران الكريم ، ترجمه محمد عبد العظيم علي ، دار القلم ، الكويت ، 2003 .
8- دراسات إسلامية في العلاقات الدولية والاجتماعية ، دار القلم ، الكويت ، 2003 .

شكلَّت مؤلفات الشيخ دراز " : إضافات معرفية سد ت فراغا في حقول الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام وتاريخ الأديان ، وقد أتاحت له الدراسة المعمَّقة لكل من الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية من منابعهما الأصلية بناء رؤية تركيبية تحليلية فريدة ، بعيداً عن السطحية ، وامتاز فكر دراز وكتاباته برحابة الأفق ، وعمق التحليل ، ودقة الاستدلال ، مع حجاج مقنع ، وبلاغة ساحرة استمدَّها من بلاغة القرآن الكريم ، كان مؤتمر الأديان بلاهور سنة 4959 آخر عهد للشيخ دراز بالكتابة والعلم ، فلم يستطع أن يلقي بحثه الذي أعده للمؤتمر ، وفارق الحياة تاركاً خلفه تراثاً علميًا وأثراً عميقاً في النفوس وفي مجال لدراسات العلمية .

- إبراهيم أحمد الديبو : أسس النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم دراسة في كتاب الدكتور محمد عبد الله دراز (دستور الأخلاق في القرآن الكريم) ، مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير ، العدد الثالث ، سوريا ، 2020 ، ص ص ص 90-91 .
- محمد بن المحتار الشنقيطي : فيلسوف القرآن الكريم محمد عبد الله دراز ؛ حياته وآثاره ، دار الشروق ، القاهرة ، 2017 .

(11) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 2 .

(12) المصدر السابق ، ص 3 .

(13) المصدر السابق ، ص 4 .

(14) المصدر السابق ، ص 4 .

(15) المصدر السابق ، ص 5 .

(16) المصدر السابق ، ص 6 .

(17) المصدر السابق ، ص 8 .

(18) سامر رشواني : الدرس الأخلاقي للقرآن قراءة في بعض المقاربات الحديثة ، دار بريل ومركز دراسة التشريع الإسلامي ، 2007 ،هولندا ، ص 168 .

(19) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 8 .

(20) ليفي بريل : الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية ، ترجمة محمود قاسم ، مراجعة السيد محمد بدوي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1953 ، ص 98 .

(21) أبو اليزيد العجمي : الأخلاق بين العقل والنقل ، ط 1 ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 1988 ، ص 69 .

(22) توفيق الطويل : الإلزام الخلقي ومصدره ، في مشكلات فلسفية ، مطبعة جريدة الصباح ، القاهرة ، 1954 ، ص 39 .

(23) Durkheim , Emile ; Sociology and Philosophy , Trans. , By , D . f . , pocock , London 1953 , P . 37 .

(24) Ibid , P . 56 .

(25) Tirykian , E . A ; Sociologism and Existentialism , N . Y . Prentice Hall , 1962 , P .14 .

(26) Emile Benoit Smullyan ; The Sociologism of Emil Durkhim and his School , in Barnes (ed) . An Introduction to the History of Sociology , Chicago , University Press , 1948 , P . 499 .

(27) محمد علي عز العرب السماحي : الضمير والإلزام الخلقي بين المذاهب الفكرية والإسلام دراسة مقارنة ، ط 1 ، سعيد رأفت للطباعة ، القاهرة ، 1985 ، ص 120 وكذلك :

– بارودي : المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر ، ترجمة محمد غلاب ، إبراهيم بيومي مدكور ، ط 2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1958، ص ص 32 – 33 .

(28) توفيق الطويل : الإلزام الخلقي ومصدره ، مرجع سابق ، ص 61 .

(29) محمد السيد الجليند : في علم الأخلاق ؛ قضايا ونصوص ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، 1979 ، ص ص 101 –102 .

(30) لا ينبغي أن يُفْهَم من فطرية الحاسة الخلقية أن جميع المبادئ الأخلاقية منقوشة في الضمير والوجدان ، بل إنها مجرد قوة مستمدة للتمييز بين الخير

والشر ، والطيب والخبيث ، وإنما تُنْقَش فيها الطيبات والخبائث عن طريق التربية والمجتمع . فما تقدمه أيديولوجية المجتمع إلي الإنسان أو الفرد أنه طيب أو خبيث ، وتلَقِنُّه من صغره ، ويتربَّى عليها ، تُنْقَشُ في ضميره أنه طيب أو خبيث . ومن هنا نجد الاختلاف في وجدانات الناس وضمائرهم في بعض النواحي الخلقية ، بحسب الأيديولوجية الاجتماعية ، التي يتبعونها ، أو التي نشئوا عليها .

– مقداد يالجن : علم الأخلاق الإسلامية ، ط 1، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، 1992 ، ص 309 .

(31) شافتسبري (1671 – 1713) أحد المفكرين في انجلترا ، ومن مشاهير الفكر الإنجليزي في عصره . رفض أن يرد الإلزام الخلقي إلي : الحواس ، واحتياجات الجسم ، وظروف المجتمع ؛ لأن الأخلاق في نظره أعلي وأرقي من ذلك بمراحل كثيرة . ورفض – أيضاً – رد الأخلاق إلي الدين ؛ حتى لا يكون السلوك الأخلاقي في هيئة أوامر دينية خارجية ، مفروضة علي الإنسان بوراثة الدين . وإنما أراد شافتسبري أن يجعل السلوك الأخلاقي مستقلاً بذاته ، ونابعاً من إلزام داخلي في الإنسان ... ومستهدفاً حب الفضيلة لذاتها . فقال : بوجود حاسة خلقية عند الإنسان ، كامنة في داخله ، وهي التي تجعله يميز بين الخير والشر ، وتدفعه إلي عمل الخير ، وتحاشي الشر تلقائياً ، ودون أي تبرير .

(32) أبو بكر إبراهيم التلوع : الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، 1995 ، ص 221

(33) أبو اليزيد العجمي : الأخلاق بين العقل والنقل ، مرجع سابق ، ص 58 .

(34) محمد عبد الرحيم محمد البيومي : الإلزام الخلقي بين العقل والضمير عند مفكري الإسلام رؤية نقدية ، جامعة القاهرة كلية دار العلوم ، القاهرة ، 2006 ، ص 412

(35) Hartmann , Nicolai ; Ethics, vol . 1 , Moral Philosophy Section , III , London ,1967 , PP. 131 – 132 .

(36) توفيق الطويل : الإلزام الخلقي ومصدره ، مرجع سابق ، ص 32 وكذلك :

– ماهر كامل ، عبد المجيد عبد الرحيم : مبادئ الأخلاق ، ط 1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1958، ص 124 .

(37) توفيق الطويل : الإلزام الخلقي ومصدره ، مرجع سابق ، ص 32 .

(38) أبو اليزيد العجمي : الأخلاق بين العقل والنقل ، مرجع سابق ، ص 5 .

(39) محمد علي أبو ريان : أسلمة المعرفة ؛ العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية ، مرجع سابق ، ص 334 .

(40) أبو اليزيد العجمي : الأخلاق بين العقل والنقل ، مرجع سابق ، ص 108 وكذلك :

– السيد محمد بدوي : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1995، ص83 .

(41) مصطفي حلمي : الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ، ط 1 ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، 1986 ، ص ص 114 – 115 .

(42) سورة الأنعام : من الآية 38 .

(43) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه ، كنز العمال ، جـ 1 ، ص 173 ، حديث رقم 876 .

(44) محمد الكتاني : جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي ، در الثقافة والنشر والتوزيع ، الدرا البيضاء ، 2000 ص 13 .

(45) أحمد عبد الحليم عطية : عبد الله دراز والأخلاق القرآنية ، مجلة أوراق فلسفية ، العدد 101 ، 102 ، القاهرة ، 2023 ، ص 237 .

(46) عبد الكريم القلالي : العقل والنقل في الدراسات القرآنية المعاصرة آراء العلامة محمد عبدالله دراز نموذجاً ، جامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب ، 2020 ، ص ص 184 – 185 .

(47) محمد عبد العظيم علي : مختصر دستور الأخلاق، ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 1996، ص 1

(48) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 13 .

(49) المصدر السابق ، ص 675 .

(50) محمد عبد الله دراز : كلمات في مبادئ علم الأخلاق ، مصدر سابق ، ص 31 .

(51) أحمد الحوفي : تأملات إسلامية ، ط 1 ، مؤسسة الخليج العربي ، القاهرة ، 1988 ، ص 42 .

(52) محمد عبد الله دراز : كلمات في مبادئ علم الأخلاق ، مصدر سابق ، ص 678 . بتصرف .

(53) حسن العناني : التنمية الذاتية والمسئولية في الإسلام ، مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ، القاهرة ، 1980 ، ص 38 . بتصرف .

(54) محمد عبد الله دراز : نظرات في الإسلام ، بدون دار نشر ، 1972 ، ص 13 .

(55) W . K , Clifford and Other ; The Ethics of Belief and Other Essays , C . A .Watts & Co . Limited , London , 1947 , p p . 97 – 121 . and also :
- Wood , A . ; Rational Faith , Moral Theology , and Religion , Cambridge University Press , 1992 .

(56) توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها ، ط 9 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1991 ، ص 24 .

(57) عبد الحى محمد قابيل : المذاهب الأخلاقية في الإسلام ؛ الواجب السعادة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1984 ، ص 66 . وأيضاً تم الرجوع إلي :
– عصم كمال عبده : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية فرع دمنهور ، 2008 ، ص 120 .

(58) عادل محمد علي : فلسفة الأخلاق ، زرقاء اليمامة ، القاهرة ، 2002 ، ص 56 .

(59) سورة يونس : الآية 44 .

(60) سورة الأنعام : الآية 54 .

(61) أحمد الريسوني : دراسات في الأخلاق ، ط 1 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، مصر ، 2016 ، ص 12 .

(62) كارم السيد غنيم : أبعاد التكوين العقلي للفرد في الإسلام ، ط 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1988 ، ص ص 19 – 20 . بتصرف .

(63) سورة الملك : الآية 10 .

(64) محمود حمدي زقزوق : دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1984 ، ص 6 .

(65) عبد المجيد النجار : خلافة الإنسان بين الوحي والعقل ؛ بحث في جدلية النص والعقل والواقع ، ط 1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1993 ، ص 73 . وأيضاً :

– عصم كمال عبده : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم ، مرجع سابق ، ص 130 .

(66) هاني عبد الرحمن مكروم : التصور العقلي ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1999 ، ص 18 .

(67) سورة آل عمران : الآية 190 .

(68) أحمد أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ط 2 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1986 ، ص 252 .

(69) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 35 .

(70) سورة الملك : الآية ١٠ .

(71) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 35 .

(72) سورة النور : الآية ٣٥ .

(73) محمد حسين فضل الله : الحوار في القرآن ، ط 1 ، دار الزهراء للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979 ، ص 30.

(74) سورة ص : ٢٦ .

(75) سورة الزخرف : الآيتان ٢٢ – ٢٣ .

(76) سورة البقرة : الآية ١٧٠ .

(77) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 25 .

(78) سورة الزمر : الآية 42 .

(79) سورة يونس : من الآية 24 .

(80) عماد الدين خليل : حول إعادة تشكيل العقل المسلم ، ط 1 ، كتاب الأمة ، سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، قطر ، 1403 ، ص ص 46 – 47 . وأيضاً تم الرجوع إلي :

– عصم كمال عبده : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم ، مرجع سابق ص 111 .

(81) عبد الكريم الخطيب : الدين ضرورة حياة الإنسان ، ط 1 ، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلان ، الرياض ، 1980 ، ص 98 .

(82) سورة الأحزاب : الآية 72 .

(83) سورة الإسراء : من الآية 70 .

(84) محمد أبو الفتح البيانوني : الحكم التكليفي في الشريعة الإسلامية ، ط 1 ، دار القلم ، دمشق ، 1988 ، ص 298 .

(85) ابن قدامة : المغني ، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي ، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، ط 2 ، دار الهجرة ، القاهرة ، 1992 ، ص 348 .

(86) عبد الكريم عثمان : نظرية التكليف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1970 ، ص 84 . وأيضاً :

- عصم كمال عبده : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم ، مرجع سابق ص 65 .

(87) عبد السلام التونجي : مؤسسة المسئولية في الشريعة الإسلامية ، ط 1 ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ليبيا ، 1994 ، ص 66 بتصرف .

(88) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 36 .

(89) سورة الشمس : الآيات ٧ – ١٠ .

(90) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 27 .

(91) سورة القيامة : الآيتان ١٤ – ١٥ .

(92) سورة البلد : الآيات ٨ – ١٠ .

(93) جلال الدين عبد الرحمن: السيوطي : الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، تحقيق يوسف النبهاني ، ط 1 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص 69 .

(94) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 27 .

(95) سورة البقرة : الآية ٢١٩

(96) سورة البقرة : الآية ٢٤٢ .

(97) سورة الأنعام : الآية ٨٠ .

(98) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(99) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 29 بتصرف يسير .

(100) نوف سعيد عوض المالكي : إعجاز القرآن بين الرافعي ومحمد عبد الله دراز من خلال كتابيهما : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية والنبأ العظيم : دراسة مقارنة ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، العدد 60 ، اليمن ، 2022 ، ص 535 .

(101) عبد الحى محمد قنديل : المذاهب الأخلاقية في الإسلام ؛ الواجب السعادة ، مرجع سابق ، ص 79 وكذلك :

- جون هوسبرس : السلوك الإنساني مقدمة في مشكلات علم الأخلاق ، ترجمة وتقديم وتعليق علي عبد المعطي محمد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2002 ، ص 52 .
- محمود الشرقاوي : الدين والضمير ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1964 ، ص 61 .

(102) هناك رأي شائع يقول : إن الضمير هو صوت الله في الإنسان ، ومن ثم فهو قادر علي تكوين وإصدار أحكام أخلاقية معصومة من الخطأ . بَيْد أن هذا الرأي يمكن رفضه ، فليس هناك دليل علي صحته ، كما أن تحليل أحكام الضمير كثيراً ما يظهر خطأها تحت تزايد معرفتنا ، وتحت وقوعنا – أحياناً – تحت طائلة التعصب .

- وليام ليلي : مقدمة في علم الأخلاق ، ط 4 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1993 ، ص 209 .

(103) عبد الحي محمد قنديل : المذاهب الأخلاقية في الإسلام ؛ مرجع سابق ، ص 79 . وأيضاً :

- عصم كمال عبده : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم ، مرجع سابق ص 155 .

(104) مصطفي حلمي : الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ، مرجع سابق ، ص 131 .

(105) سورة الزخرف : الآية ٣٦ .

(106) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 170 .

(107) محمد السيد الجليند : مشكلة الخير والشر في الفكر الإسلامي ، جـ 1 ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، 1977 ، ص 121.

(108) سورة الفرقان : الآيات من 63 إلي 74 .

(109) محمد السيد الجليند ، مصطفي حلمي : الفلسفة الخلقية لدي مفكري الإسلام ، دار الهانى للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 146 .

(110) وليام ليلي : مقدمة في علم الأخلاق ، ترجمة وتقديم وتعليق علي عبد المعطي محمد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2000 ، ص 209 .

(111) حسن بن إدريس عزوزي : بين الدين والضمير ، مجلة الوعي الإسلامي ، تصديرها وزاره الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المجلد 38 ، العدد 482 ، الكويت ، 2001 ، ص 43 .

(112) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 52 .

(113) المصدر السابق ، ص ص 429 – 430 .

(114) يوسف محمد كمال : جوانب تربية الضمير في الإسلام ، المجلد 46 ، عدد 9 –10 ، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ، 2002 ، ص 51 .

(115) محمود محمد شاكر : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1987 ، ص 32 .

(116) محمد عبد الله دراز : نظرات في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ص 6 – 7 .

(117) المصدر السابق ، ص ص 7 – 8 .

(118) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق ص 136 .

(119) سامي نصر لطف : الحرية المسئولة في الفكر الإسلامي ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 306 . وكذلك :

– محمد أحمد خلف الله : مفاهيم قرآنية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1984 ، ص 145 .

(120) مقداد يالجن : علم الأخلاق الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 258 .

(121) سورة البقرة : من الآية ٢٨٦ .

(122) سورة الإسراء : من الآية 36 .

(123) عبد السلام التونجي : مؤسسة المسئولية في الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 41 .

(124) سورة التكاثر : الآية 8 .

(125) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ص 141 .

(126) سورة البقرة : من الآية 187 .

(127) محمد عبد الله الشرقاوي : الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة ، مرجع سابق، ص ص 204 – 205 .

(128) سورة المائدة : من الآية 7 .

(129) عبد الرحمن بدوي : الأخلاق النظرية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1975 ، ص 224 . وكذلك :

– محمد محمد طاهر آل شبير الخاقاني : علم الأخلاق ؛ النظرية والتطبيق ، ط 1 ، دار ومكتبة الهلال ، القاهرة ، 1987 ، ص 141 .

– عصم كمال عبده : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم ، مرجع سابق ص 160 .

(130) سورة الإسراء : من الآية 34 .

(131) حمدي حيا الله : الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين ، ط 3 ، مطبعة الجبلاوى ، 1977 ، ص 31 . بتصرف .

(132) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص ص 140 – 141 .

(133) محمد إبراهيم الشافعي : المسئولية والجزاء في القرآن الكريم ، ط 1 ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ، 1982، ص 63 . بتصرف .

(134) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 142

(135) سورة الحجر : الآيتان 92 – 93 .

(136) محمد إبراهيم الشافعي : المسئولية والجزاء في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ص 57 – 58 .

(137) سورة الأعراف : الآية 6 .

(138) سورة آل عمران : الآية 25 .

(139) محمد إبراهيم الشافعي : المسئولية والجزاء في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص 59 .

(140) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 146 .

(141) علي عبد الواحد وافي : المسئولية في الإسلام ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، بدون تاريخ ص 17 . وكذلك :

– محمد الغزالي وآخرون : المرأة في الإسلام ، مطبوعات أخبار اليوم قطاع الثقافة ، 1991 ، ص 69 .

(142) محمد إبراهيم الشافعي : المسئولية والجزاء في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص 64 .

(143) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 148 .

(144) المصدر السابق ، ص 163 .

(145) المصدر السابق ، ص 193 .

(146) المصدر السابق ، ص 180 .

(147) مقداد يالجن : علم الأخلاق الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 268 .

(148) سورة الأنعام : الآية ١٦٠ .

(149) جـ . هـ . جويو : الأخلاق بلا إلزام ولا جزاء ، ترجمة سامي الدروبي ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ، ص 174 .

(150) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص ص 245 – 246 .

(151) المصدر السابق ، ص 246 .

(152) محمد إبراهيم الشافعي : المسئولية والجزاء في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص 336 .

(153) عادل محمد علي : فلسفة الأخلاق ، مرجع سابق ، ص 70 .

(154) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 343 .

(155) محمد علي أبو ريان : أسلمة المعرفة ، مرجع سابق ، ص 339 . وكذلك :

– محمد جواد مغنية : فلسفة الأخلاق في الإسلام ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1977، ص 114

(156) فهمي محمد علوان : القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1988، ص 153 .

– عصم كمال عبده : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم ، مرجع سابق ص 166 .

(157) سورة البقرة : من الآية 85 .

(158) سورة البقرة : من الآية 276 .

(159) سورة الروم : من الآية 6 .

(160) سورة البقرة : الآية 261 .

(161) سورة النساء : من الآية 48 .

(162) مقداد يالجن : علم الأخلاق الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 270 .

(163) سورة النساء : الآية 31 .

(164) مقداد يالجن : علم الأخلاق الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 280 .

– عصم كمال عبده : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم ، مرجع سابق ص 176 .

(165) محفوظ علي عزام : الأخلاق في الإسلام ؛ بين النظرية والتطبيق ، ط 1 ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت ، 1986 ، ص 39 .

(166) محمد جواد مغنية : فلسفة الأخلاق في الإسلام ، مرجع سابق ، ص 111 .

(167) أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ؛ العقليون والذوقيون أو النظر والعمل ، دار المعارف ، 1983 ، ص 257 .

(168) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 250 . بتصرف .

(169) سورة النور : الآية 31 .

(170) سورة النساء : الآية 18 .

(171) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص 251 . بتصرف .

(172) سورة النساء : الآية 17 .

(173) أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 258. بتصرف .

(174) عادل العوا : الوجدان ، مطبعة جامعة دمشق ، 1969 ، ص 57 .

(175) سورة النور : الآية 2 .

(176) سورة النور : الآية 4 .

(177) مقداد يالجن : علم الأخلاق الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 287 .

(178) سورة ق : الآيتان ٣٢ – ٣٣ .

(179) نسيمة الأعور ، رقية دردوري : النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم كتاب دستور الأخلاق في القرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز أنموذجاً ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي معهد العلوم الإسلامية قسم أصول الدين ، الجزائر ، 2021 ، ص 32

(180) محمد عبد الله دراز : مختصر دستور الأخلاق ، تلخيص وترجمة محمد عبد العظيم علي ،ط1 ، دار الدعوة ، القاهرة ، 1996 ، ص 134 .

(181) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، مصدر سابق ، ص

(182) المصدر السابق ، ص 437 .

(183) المصدر السابق ، ص 438 .

(184) المصدر السابق ، ص ص 50 – 51 .

(185) عيسى بن بها : أركان النظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز ، مرجع سابق ، ص 112 .

(186) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(187) محمد عبد الله دراز : مختصر دستور الأخلاق ، مصدر سابق ، ص ص 184 – 185 .

(188) عيسى بن بها : أركان النظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز ، مرجع سابق ، ص 113 .

(189) محمد عبد الله دراز : مختصر دستور الأخلاق ، مصدر سابق ، ص 587 .

(190) سورة الانشقاق : الآية ٦ .

(191) سورة البلد : الآية ١١ .

(192) سورة البلد : الآيات ١٢ – ١٧ .

(193) سورة الحجرات : الآية ١٥ .

(194) عيسى بن بها : أركان النظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز ، مرجع سابق ، ص 113 .

(195) محمد عبد الله دراز : مختصر دستور الأخلاق ، مصدر سابق ، ص ص 594 -595 .

(196) سورة النازعات : الآيات ٣٤ – ٣٩ .

(197) عيسى بن بها : أركان النظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز ، مرجع سابق ، ص 114 .

(198) محمد عبد الله دراز : مختصر دستور الأخلاق ، مصدر سابق ، ص ٦١٣ .

(199) سورة سبأ : الآية ٤٦ .

(200) سورة الأحزاب : من الآية ٥ .

قائمة المصادر والمراجع .

أ: المصادر العربية .

1 – محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم نظرات جديدة في القران ، دار القلم ، الكويت ، 1957 .

2- ..... : نظرات في الإسلام ، بدون دار نشر ، 1972 .

3- ..... : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990 .

4- ..... : مختصر دستور الأخلاق ، تلخيص وترجمة محمد عبد العظيم علي ،ط1 ، دار الدعوة ، القاهرة ، 1996 .

5- ..... : دستور الأخلاق في القرآن ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، ط 10 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1998 .

6- ..... : كلمات في مبادئ علم الأخلاق ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2021 .

7- ..... : مدخل إلى القران الكريم ، ترجمه محمد عبد العظيم علي ، دار القلم ، الكويت ، 2003 .

8- ..... : دراسات إسلامية في العلاقات الدولية والاجتماعية ، دار القلم ، الكويت ، 2003 .

ب : المصادر المترجمة إلي اللغة العربية .

1- بارودي : المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر ، ترجمة محمد غلاب ، إبراهيم بيومي مدكور ، ط 2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1958.

2- جـ . هـ . جويو : الأخلاق بلا إلزام ولا جزاء ، ترجمة سامي الدروبي ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .

3- جون هوسبرس : السلوك الإنساني مقدمة في مشكلات علم الأخلاق ، ترجمة وتقديم وتعليق علي عبد المعطي محمد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2002 .

4- ليفي بريل : الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية ، ترجمة محمود قاسم ، مراجعة السيد محمد بدوي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1953 .

5- وليام ليلي : مقدمة في علم الأخلاق ، ترجمة وتقديم وتعليق علي عبد المعطي محمد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2000 .

ج : المصادر الأجنبية .

1- Durkheim , Emile ; Sociology and Philosophy , Trans. , By , D . f . , pocock , London , 1953 .
2- Emile Benoit Smullyan ; The Sociologism of Emil Durkhim and his School , in Barnes (ed) . An Introduction to the History of Sociology , Chicago , University Press , 1948 .
3- Hartmann , Nicolai ; Ethics, vol . 1 , Moral Philosophy Section , III , London ,1967 .
4- Tirykian , E . A ; Sociologism and Existentialism , N . Y . Prentice Hall , 1962 .
5- Wood , A . ; Rational Faith , Moral Theology , and Religion , Cambridge University Press , 1992 .
6- W . K , Clifford and Other ; The Ethics of Belief and Other Essays , C . A .Watts & Co . Limited , London , 1947 .
7- Wood , A . ; Rational Faith , Moral Theology , and Religion , Cambridge University Press , 1992 .

ثانياً : المراجع .

1 : باللغة العربية .

أ- الكتب .

1- ابن قدامة : المغني ، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي ، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، ط 2 ، دار الهجرة ، القاهرة ، 1992.

2- أبو اليزيد العجمي : الأخلاق بين العقل والنقل ، ط 1 ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 1988.

3- أبو بكر إبراهيم التلوع : الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، 1995 .

4- أحمد أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ط 2 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1986 .

5- أحمد الحوفي : تأملات إسلامية ، ط 1 ، مؤسسة الخليج العربي ، القاهرة ، 1988 .

6- أحمد الريسوني : دراسات في الأخلاق ، ط 1 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، مصر ، 2016 .

7- أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ؛ العقليون والذوقيون أو النظر والعمل ، دار المعارف ، 1983 .

8- السيد محمد بدوي : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1995.

9- توفيق الطويل : الإلزام الخلقي ومصدره ، في مشكلات فلسفية ، مطبعة جريدة الصباح ، القاهرة ، 1954 .

10- ..... : فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها ، ط 9 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1991 .

11- جلال الدين عبد الرحمن: السيوطي : الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، تحقيق يوسف النبهاني ، ط 1 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2003 .

12- حسن العناني : التنمية الذاتية والمسئولية في الإسلام ، مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ، القاهرة ، 1980 .

13- حمدي حيا الله : الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين ، ط 3 ، مطبعة الجبلاوى ، 1977 .

14- سامر رشواني : الدرس الأخلاقي للقرآن قراءة في بعض المقاربات الحديثة ، دار بريل ومركز دراسة التشريع الإسلامي ، هولندا ، 2007 .

15- سامي نصر لطف : الحرية المسئولة في الفكر الإسلامي ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

16- عادل العوا : الوجدان ، مطبعة جامعة دمشق ، 1969 .

17- عادل محمد علي : فلسفة الأخلاق ، زرقاء اليمامة ، القاهرة ، 2002 .

18- عبد الحى محمد قابيل : المذاهب الأخلاقية في الإسلام ؛ الواجب السعادة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1984 .

19 - عبد الرحمن بدوي : الأخلاق النظرية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1975 .

20- عبد السلام التونجي : مؤسسة المسئولية في الشريعة الإسلامية ، ط 1 ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ليبيا ، 1994 .

21- عبد الكريم الخطيب : الدين ضرورة حياة الإنسان ، ط 1 ، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلان ، الرياض ، 1980

22- عبد الكريم القلالي : العقل والنقل في الدراسات القرآنية المعاصرة آراء العلامة محمد عبدالله دراز نموذجاً ، جامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب ، 2020 .

23- عبد الكريم عثمان : نظرية التكليف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1970 .

24- عبد المجيد النجار : خلافة الإنسان بين الوحي والعقل ؛ بحث في جدلية النص والعقل والواقع ، ط 1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1993 .

25- عصم كمال عبده : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية فرع دمنهور ، 2008 .

26- علي عبد الواحد وافي : المسئولية في الإسلام ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، بدون تاريخ .

27- عماد الدين خليل : حول إعادة تشكيل العقل المسلم ، ط 1 ، كتاب الأمة ، سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، قطر ، 1403 .

28- فهمي محمد علوان : القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، .1988

29- كارم السيد غنيم : أبعاد التكوين العقلي للفرد في الإسلام ، ط 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1988 .

30- ماهر كامل ، عبد المجيد عبد الرحيم : مبادئ الأخلاق ، ط 1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1958.

31- محفوظ علي عزام : الأخلاق في الإسلام ؛ بين النظرية والتطبيق ، ط 1 ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت ، 1986 .

32- محمد إبراهيم الشافعي : المسئولية والجزاء في القرآن الكريم ، ط 1 ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ، 1982.

33- محمد أبو الفتح البيانوني : الحكم التكليفي في الشريعة الإسلامية ، ط 1 ، دار القلم ، دمشق ، 1988 .

34 - محمد أحمد خلف الله : مفاهيم قرآنية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1984 .

35- محمد السيد الجليند : في علم الأخلاق ؛ قضايا ونصوص ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، 1979 .

36- ..... : مشكلة الخير والشر في الفكر الإسلامي ، جـ 1 ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، 1977 .

37- محمد السيد الجليند ، مصطفي حلمي : الفلسفة الخلقية لدي مفكري الإسلام ، دار الهانى للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

38 - محمد الغزالي وآخرون : المرأة في الإسلام ، مطبوعات أخبار اليوم قطاع الثقافة ، 1991 .

39- محمد الكتاني : جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي ، در الثقافة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، 2000 .

40- محمد بن المحتار الشنقيطي : فيلسوف القرآن الكريم محمد عبد الله دراز ؛ حياته وآثاره ، دار الشروق ، القاهرة ، 2017 .

41 - محمد جواد مغنية : فلسفة الأخلاق في الإسلام ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، .1977

42- محمد حسين فضل الله : الحوار في القرآن ، ط 1 ، دار الزهراء للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979 .

43- محمد عابد الجابري : العقل الأخلاقي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2001 .

44- محمد عبد العظيم علي : مختصر دستور الأخلاق، ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 1996 .

45- محمد عبد الله الشرقاوي : الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، 1988.

46- محمد عبد الرحيم محمد البيومي : الإلزام الخلقي بين العقل والضمير عند مفكري الإسلام رؤية نقدية ، جامعة القاهرة كلية دار العلوم ، القاهرة ، 2006

47 - محمد علي عز العرب السماحي : الضمير والإلزام الخلقي بين المذاهب الفكرية والإسلام دراسة مقارنة ، ط 1 ، سعيد رأفت للطباعة ، القاهرة ، 1985 .

48 - محمد محمد طاهر آل شبير الخاقاني : علم الأخلاق ؛ النظرية والتطبيق ، ط 1 ، دار ومكتبة الهلال ، القاهرة ، 1987 .

49- محمود الشرقاوي : الدين والضمير ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1964 .

50- محمود حمدي زقزوق : دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1984 .

51- محمود محمد شاكر : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1987 .

52- مصطفي حلمي : الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ، ط 1 ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، 1986 .

53- نسيمة الأعور رقية دردوري : النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم كتاب دستور الأخلاق في القرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز أنموذجاً ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي معهد العلوم الإسلامية قسم أصول الدين ، الجزائر ، 2021

54- مقداد يالجن : علم الأخلاق الإسلامية ، ط 1 ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، 1992 .

55- هاني عبد الرحمن مكروم : التصور العقلي ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1999 .

ب : المجلات العلمية .

1- إبراهيم أحمد الديبو : أسس النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم دراسة في كتاب الدكتور محمد عبد الله دراز (دستور الأخلاق في القرآن الكريم) ، مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير ، العدد الثالث ، سوريا ، 2020 .

2- أحمد عبد الحليم عطية : عبد الله دراز والأخلاق القرآنية ، مجلة أوراق فلسفية ، العدد 101 ، 102 ، القاهرة ، 2023

3- حسن بن إدريس عزوزي : بين الدين والضمير ، مجلة الوعي الإسلامي ، تصديرها وزاره الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المجلد 38 ، العدد 482 ، الكويت ، 2001 .

4- عيسى بن بها : أركان النظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز ، مجلة نماء المتخصصة في علوم الوحي والدراسات الإنسانية ، المغرب ، 2022

5- فتحي حسن ملكاوي : منهج محمد عبد الله دراز في التأصيل الإسلامي لعلم الأخلاق ، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر ، مجلد 14 ، عدد 53 ، الأردن ، 2008 .

6- نوف سعيد عوض المالكي : إعجاز القرآن بين الرافعي ومحمد عبد الله دراز من خلال كتابيهما : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية والنبأ العظيم : دراسة

مقارنة ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، العدد 60 ، اليمن ، 2022.

7- يوسف محمد كمال : جوانب تربية الضمير في الإسلام ، المجلد 46 ، عدد 9 -10 ، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ، 2002 .